رسالة علمية جامعية

بدعة الاحتفال بالمولد النبوي

قطعة من كتاب :

البدع الحولية

تأليف

عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري

دار الإمام أحمد
للطباعة والنشر

الفصل الثالث

شهر ربيع الأول(*)

● بدعة الاحتفال بالمولد النبوي: ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: أول من أحدث هذه البدعة .

المبحث الثاني: حالة المجتمع في ذلك العصر.

المبحث الثالث: بعض الشُّبه التي عرضت للقائلين بهذه البدعة والجواب عنها.

المبحث الرابع: طريقة إحياء المولد.

المبحث الخامس: حقيقة محبته ﷺ .

المبحث السادس: موقف أهل السنة من هذه البدعة.

(*) لم أعثر ـ على حسب اطلاعي المحدود ـ على آثار تتعلق ببحثنا في شهر ربيع الأول .

المبحث الأول
أول من أحدث هذه البدعة

مضت القرون المفضلة الأولى، الأول والثاني والثالث، ولم تسجل لنا كتب التاريخ أن أحداً من الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم ومن جاء بعدهم ـ مع شدة محبتهم للنبي ﷺ، وكونهم أعلم الناس بالسنَّة، وأحرص الناس على متابعة شرعه ﷺ احتفل بمولد النبي ﷺ.

وأول من أحدث هذه البدعة هم بني عبيد القداح[١] الذين يسمون أنفسهم بالفاطميين، وينتسبون إلى ولد علي بن أبي طالب[٢] ـ رضي الله عنه ـ، وهم في الحقيقة من المؤسسين لدعوة الباطنية[٣]، فجدّهم هو ابن ديصان المعروف بالقداح[٤]، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق[٥]، وكان من الأهواز[٦] وأحد مؤسسي مذهب الباطنية[٧]، وذلك بالعراق، ثم رحل إلى المغرب، وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي

---

(١) يُراجع: أحسن الكلام ص (٤٤)، والإبداع ص (٢٥١)، وتاريخ الاحتفال بالمولد النبوي ص (٦٢)، ونفح الأزهار ص (١٨٥، ١٨٦)، والقول الفصل ص (٦٤).

(٢) تقدمت ترجمته ص (٦٩) من هذا الكتاب.

(٣) تقدَّم الكلام عنهم ص (١٠٧) من هذا الكتاب.

(٤) سمي القدَّاح: لأنه كان كحَّالاً يقدح العيون إذا نزل فيها الماء. يُراجع: وفيات الأعيان (٣/ ١١٨)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٠٢)، ولسان العرب (٢/ ٥٥٦) مادة (قدح).

(٥) هو: جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أحد الأئمة الاثنى عشر عند الشيعة الإمامية، كان من سادات أهل البيت ولُقِّبَ بالصادق لصدقه في مقالته، وكان يغضب من الرافضة ويمقتهم؛ لأنَّ أبا بكر جده من جهة أمه، وكان سيد بني هاشم في زمنه. ولد ـ رحمه الله ـ سنة ٨٠هـ، وتوفي بالمدينة سنة ١٤٨هـ ودُفِنَ بالبقيع. وقد ألّف تلميذه جابر بن حيان كتاباً في ألف ورقة يتضمن رسائله، وهي خمسائة.
تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (١/ ٣٢٧، ٣٢٨) ترجمة رقم (١٣١)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٥ ـ ٢٧٠)، وشذرات الذهب (١/ ٢٢٠).

(٦) الأهواز: سبع كور بين البصرة وفارس، وسوق الأهواز من مدنها والتي فتحها أبو موسى الأشعري سنة ١٧هـ، قيل عن أهلها: أنهم أبخل الناس وأحمقهم وهي كثيرة الحمى.
يُراجع: معجم البلدان (١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦).

(٧) تقدَّم الكلام عنهم ص (١٠٧) من هذا الكتاب.

طالب[١]، وزعم أنه من نسله، فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرافضة[٢]، ادَّعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق[٣]، فقبلوا ذلك منه، مع أن محمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق مات ولم يعقب ذرية[٤]، وممن تبعه: حمدان قرمط[٥]، وإليه تُنسب القرامطة[٦]، ثم لما تمادت بهم الأيام، ظهر المعروف منهم بسعيد بن الحسين[٧] بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح، فغيَّر اسمه

---

(١) هو: عقيل بن أبي طالب بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أخو علي وجعفر، وكان الأسن، أبو يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية وهاجر في أول سنة ثمان، شهد غزوة مؤتة، وكان ممن ثبت يوم حنين، وكان عالماً بأنساب قريش ومآثرها، وكان سريع الجواب المسكت. وكان ممن يتحاكم إليه الناس في المنافرات. توفي في خلافة معاوية، وقيل: في أول خلافة يزيد بن معاوية قبل الحرة.

تُراجع ترجمته في: الطبقات (٤/ ٤٢ ـ ٤٤)، والإصابة (٢/ ٤٨٧) ترجمة رقم (٥٦٣٠).

(٢) تقدَّم الكلام عنهم ص (٣٦) من هذا الكتاب.

(٣) هو: محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وإليه تنسب الإسماعيلية، ويزعمون أن أدوار الإمامة انتهت إليه؛ إذ كان هو السابع من محمد ﷺ، ويثبتون له منصب النبوة، وأن ذلك يستمر في نسبه وأعقابه، ويسمونه محمد المكتوم لاتفاقهم على إخفائه حذراً من المتغلبين عليهم (بني العباس)، ولد بالمدينة، وتوفي ببغداد.

تُراجع ترجمته في: فضائح الباطنية ص (١٦)، والخطط والآثار للمقريزي (١/ ٣٤٩)، والأعلام (٦/ ٣٤)

(٤) يُراجع: فضائح الباطنية ص (١٦).

(٥) لُقِّبَ بذلك لقرمطة في خطه أو خطوه، وكان في ابتداء أمره أكارا (حراثاً أو زرَّاعاً). يُراجع: لسان العرب (٤/ ٢٦) مادة (أكر). من أكرة سواد الكوفة، وكان مائلاً إلى الزهد، فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريق وهو متوجه إلى قريته، فدعاه فاستجاب له وعاهده على كتمان السر، ثم صار هو من كبار دعاة الباطنية، وأصلا من أصولهم، وإليه تنسب القرامطة.

تُراجع ترجمته في: الفرق بين الفِرَق ص (٢٦٦، ٢٦٧)، وفضائح الباطنية ص (١٢ ـ ١٤).

(٦) فرقة من فرق الباطنية. وقد تقدَّم الكلام عن الباطنية ص (٦٢، ١٠٧) من هذا الكتاب.

(٧) وقيل: إن والده كان يهودياً صباغاً بسلمية، وزوج أمه هو الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن ميمون القدَّاح، وادَّعى أنه علوي فاطمي، خرج إلى مصر وعاشر واليها النوشرى، فبلغ خبره المعتضد، فأمر بالقبض عليه، فهرب إلى المغرب، والذي وطَّأ له الأمر في المغرب هو أبو عبد الله الشيعي فاستجاب له بعض البربر، فسجنه صاحب سجلماسة، فاحتال الشيعي حتى أخرجه فقتل سعيد هذا أبا عبد الله الشيعي. وكانت ولادته سنة ٢٦٠هـ بسلمية بالكوفة، وأول ما دعي له بالمغرب سنة ٢٠٠هـ وتوفي بالمدينة التي بناها وسماها المهدية سنة ٣٢٢هـ، وهو أول خلفاء العبيديين، وكان عمره ٦٣ سنة، وكانت ولايته ٢٤ سنة. =

ونسبه وقال لأتباعه: أنا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فظهرت فتنته بالمغرب(١).

قال البغدادي(٢): (وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر)ا. هـ(٣).

وقال ابن خلّكان(٤): (وأهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون دعواه في النسب). ا. هـ(٥).

وفي سنة ٤٠٢هـ كتب جماعة من العلماء والقضاة، والأشراف والعدول والصالحين والفقهاء والمحدثين، محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين - العبيديين - وشهدوا جميعاً أن الحاكم بمصر هو: منصور بن نزار(٦) الملقب بـ«الحاكم» -

---

= تُراجع ترجمته في: البداية والنهاية (١١/ ٢٠١ - ٢٠٢)، والفهرست ص (٢٣٨ - ٢٣٩)، واتعاظ الحنفا (١/ ٢٥ - ٢٩).

(١) يُراجع: الفرق بين الفرق ص (٢٦٦، ٢٦٧)، وبيان مذهب الباطنية وبطلانه ص (٢٠، ٢١).

(٢) هو: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي، أبو منصور، الفقيه الشافعي، ولد ببغداد ونشأ بها، وسافر مع أبيه إلى خراسان، وسكنا بنيسابور إلى أن ماتا، كان ماهراً في فنون عديدة خاصة علم الحساب، وله فيه كتاب «التكملة»، وكان عارفاً بالفرائض والنحو والشعر، وكان ذا مال وثروة، تفقه على أبي إسحاق الإسفراييني، وجلس بعد أستاذه للإملاء في مسجد عقيل فأملى سنين، توفي - رحمه الله - سنة ٤٢٠هـ بمدينة إسفراين، ودفن إلى جانب شيخه. وله عدة مؤلفات.

تُراجع ترجمته في: ترجمة تبيين كذب المفتري ص (٢٥٣، ٢٥٤)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٣) ترجمة رقم (٣٩٢)، وفوات الوفيات (٢/ ٣٧٠ - ٣٧٢).

(٣) يُراجع: الفرق بين الفرق ص (٢٦٧).

(٤) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلّكان، شمس الدين الإربلي، الشافعي، ولد بإربل سنة ٦٠٨هـ، كان فاضلاً متقناً للمذهب، بصيراً بالعربية، علاّمة في الأدب والشعر، تولى القضاء في الشام، ثم عزل عنه، ثم أعيدَ إليه، يتصل نسبه بالبرامكة، وله مؤلفات من أشهرها: وفيات الأعيان، توفي بالمدرسة النجيبية سنة ٦٨١هـ ودفن بسفح قاسيون بدمشق وعمره ٧٣ سنة.

تُراجع ترجمته في: فوات الوفيات (١/ ١١٠ - ١١٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٨٥)، والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٣ - ٣٥٥).

(٥) يُراجع: وفيات الأعيان (٣/ ١١٧، ١١٨).

(٦) هو: منصور - الحاكم بأمر الله - بن نزار - العزيز بالله - بن معد - المعز لدين الله - بن إسماعيل - المنصور بالله - بن محمد - القائم بأمر الله - بن عبيد الله - المهدي - العبيدي، المغربي الأصل، المصري المولد والدار والنشأة، ثالث خلفاء مصر من العبيديين، والسادس منهم، ولد سنة=

حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار ـ ابن معد بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد ـ لا أسعده الله ـ ، فإنَّهُ لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله، وتلقب بالمهدي، وأن من تقدم من سلفه أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب(١) ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ولا يتعلقون بسبب وأنه منزَّه عن باطلهم، وأن الذي ادَّعوه إليه باطل وزور. وأنهم لا يعلمون أحداً من أهل بيوتات علي بن أبي طالب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبه، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب، منتشراً انتشاراً يمنع أن يدلس أمرهم على أحد، أو يذهب وهم إلى تصديقهم فيما ادَّعوه، وأن هذا الحاكم بمصر ـ هو وسلفه ـ كفَّار فسَّاق فجَّار، ملحدون زنادقة، معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون، قد عطَّلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر، وسفكوا الدماء، وسَبُّوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادَّعُوا الربوبية، وكتب في سنة اثنتين وأربعمائة للهجرة، وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير(٢) ا. هـ.

= ٣٧٥هـ، وتولى الخلافة سنة ٣٨٦هـ وعمره إحدى عشرة سنة ونصف، كان غريب الأطوار، وادَّعى الألوهية. وأمر الناس بالسجود له عند ذكره في المساجد، وأخباره شنيعة، وأصاب الناس منه أذى شديد وخاصة أهل مصر حتى أنه أحرق مصراً بواسطة العبيد السودان، ونهبوا ما يقارب نصفها وسبوا النساء والبنات، فعلوا بهن الفاحشة... إلخ. ذلك من الأخبار البالغة الشناعة، وسأذكر في المتن ـ إن شاء الله ـ ص (١٤١) وما بعدها من هذا الكتاب، فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية فيه هو وأجداده وأحفاده وأنهم من الباطنية الذين ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض. قتل ـ لعنه الله ـ سنة ٤١١هـ.

تُراجع ترجمته في: البداية والنهاية (١٢/ ١٠ ـ ١٢)، والنجوم الزاهرة (٤/ ١٧٦ ـ ١٩٣)، والخطط المقريزية (٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٩).

(١) تقدمت ترجمته ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ص (٦٩) من هذا الكتاب.

(٢) منهم:

أ ـ **من العلويين**: المرتضى، والرضى، وابن الأزرق الموسوي، وأبو طاهر بن أبي الطيب، ومحمد ابن محمد بن عمرو بن أبي يعلى.

ب ـ **ومن القضاة**: أبو محمد بن الأكفاني، وأبو القاسم الجزري، وأبو العباس بن الشيوري.

جـ ـ **ومن الفقهاء**: أبو حامد الإسفراييني، وأبو محمد بن الكسفلي، وأبو الحسن القدوري، وأبو عبد الله الصميري، وأبو عبد الله البيضاوي، وأبو علي بن حمكان.

د ـ **ومن الشهود**: أبو القاسم التنوخي. يُراجع: البداية والنهاية (١١/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧).

وقد صنَّف القاضي الباقلاَّني[١] كتاباً في الردِّ على هؤلاء وسماه: (**كشف الأسرار وهتك الأستار**). بيَّن فيه فضائحهم وقبائحهم، وقال فيهم: هم قوم يظهرون الرفض، ويبطنون الكفر المحض[٢].

وقد سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] ـ رحمه الله ـ عنهم، فأجاب: (بأنهم من أفسق الناس، ومن أكفر الناس، وأن من شهد لهم بالإيمان والتقوى، أو بصحة النسب، فقد شهد لهم بما لا يعلم، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿... إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٥].

وهؤلاء القوم يشهد عليهم علماء الأمة، وأئمتها، وجماهيرها، أنهم كانوا منافقين زنادقة، يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، فالشاهد لهم بالإيمان، شاهد لهم بما لا يعلمه؛ إذ ليس معه شيء يدلّ على إيمانهم، مثل ما مع منازعيه ما يدلّ على نفاقهم وزندقتهم.

وكذلك النسب: قد علم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم، ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود، هذا مشهور من شهادة علماء الطوائف من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وأهل الحديث، وأهل الكلام، وعلماء النسب، والعامة، وغيرهم. وهذا أمر قد ذكره عامة المصنفين لأخبار الناس وأيامهم، حتى بعض من قد يتوقف في أمرهم؛ كابن الأثير[٦] الموصلي في تاريخه ونحوه، فإنَّه ذكر ما كتبه علماء

---

(١) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني، البصري المتكلم المشهور، كان على مذهب الأشاعرة، سكن بغداد، وله تصانيف كثيرة في علم الكلام وغيره، وانتهت إليه الرياسة في مذهبه وكان كثير التطويل في المناظرة مشهوراً بذلك. توفي سنة ٤٠٣هـ ببغداد.

تُراجع ترجمته في: ترتيب المدارك (٤/ ٥٨٥ ـ ٦٠٢)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠).

(٢) يُراجع: البداية والنهاية (١١/ ٣٨٧).

(٣) تقدمت ترجمته ص (٢٢) من هذا الكتاب.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

(٦) هو: الإمام العلاَّمة المحدث الأديب النسَّابة عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني، ابن الشيخ الأثير أبي الكرم، مصنف التاريخ الكبير الملقب بالكامل، ومصنف كتاب «أُسد الغابة في معرفة الصحابة»، ولد سنة ٥٥٥هـ، وأخوه أبو السعادات المبارك مصنف «جامع الأصول» وغيره، وأخوه الوزير ضياء الدين أبو الفتح =

المسلمين بخطوطهم في القدح في نسبهم.

وأما جمهور المصنفين من المتقدمين والمتأخرين، حتىٰ القاضي ابن خلّكان[١] في تاريخه، فإنَّهم ذكروا بطلان نسبهم، وكذلك ابن الجوزيّ[٢]، وأبو شامة[٣]، وغيرهما من أهل العلم بذلك. حتىٰ صنَّف العلماء في كشف أسرارهم، وهتك أستارهم؛ كالقاضي أبي بكر الباقلاّنيّ[٤] في كتابه المشهور في كشف أسرارهم وهتك

= نصر الله كان وزيراً للملك الأفضل فاتح بيت المقدس، كان إماماً علاَّمة، أخبارياً، أديباً، متفنناً، رئيساً، محتشماً، وكان منزله مأوىٰ طلبة العلم، وانصرف في آخر عمره إلىٰ الحديث انصرافاً تاماً، وقدم الشام فحدث بدمشق وبحلب، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٦٣٠ هـ، وكان عمره ٧٥ سنة.

تُراجع ترجمته في: البداية والنهاية (١٣/ ١٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٦).

(١) تقدمت ترجمته ص (١٣٩) من هذا الكتاب.

(٢) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله الجوزي، نسبة إلىٰ فرضة نهر البصرة، يرجع نسبه إلىٰ أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ جمال الدين ابن الجوزي القرشي التيمي البغدادي الحنبلي، أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلد، وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه، وله في العلوم كلها اليد الطولىٰ من التفسير والحديث والتاريخ والحساب، والنظر في النجوم والطب والفقه، واللغة، والنحو. ولد سنة ٥١٠هـ، ومات أبوه وعمره ثلاث سنين، وكان لا يلعب مع الصبيان، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة، وقد حضر مجلس وعظه الخلفاء والملوك والأمراء والعلماء، وكان يحضر مجلسه نحواً من عشرة آلاف، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٥٩٧هـ وعمره ٨٧ سنة، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً.

من مصنفاته: زاد المسير في التفسير، وجامع المسانيد، والمنتظم في التاريخ، والموضوعات، والعلل المتناهية. . . .

تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (٣/ ١٤٠ ـ ١٤٢)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٧ ـ ٢٧).

(٣) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر المقدسي، الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ، المعروف بأبي شامة، شيخ دار الحديث الأشرفية، ومدرس الركنية، وصاحب المصنفات العديدة، منها: مختصر تاريخ دمشق، وشرح الشاطبية، والباعث، والرد إلىٰ الأمر الأول، والروضتين في الدولتين، ولد سنة ٥٩٩هـ، قال بعض العلماء أنه بلغ رتبة الاجتهاد، وكانت وفاته بسبب محنة ألبوا عليه، وأرسلوا إليه من اغتاله وذلك سنة ٦٦٥هـ ـ رحمه الله ـ.

تُراجع ترجمته في: فوات الوفيات (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧١)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٣٧، ٢٣٨).

(٤) تقدمت ترجمته ص (١٤١) من هذا الكتاب.

أستارهم، وذكر أنهم من ذرية المجوس، وذكر من مذاهبهم ما بيَّن فيه أن مذاهبهم شرّ من مذاهب اليهود والنصارىٰ، بل ومن مذاهب الغالية الذين يدَّعون إلـٰهية عليّ أو نبوته، فهم أكفر من هؤلاء، وكذلك ذكر القاضي أبو يعلىٰ[١] في كتابه (المعتمد) فصلاً طويلاً في شرح زندقتهم وكفرهم، وكذلك ذكر أبو حامد الغزالي[٢] ـ رحمه الله ـ في كتابه الذي سمَّاه (فضائل المستظهرية، وفضائح الباطنية) قال: (ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض)[٣].

وكذلك القاضي عبد الجبار بن أحمد[٤]، وأمثاله من المعتزلة[٥] المتشيعة الذين لا يفضلون علىٰ عليٍّ غيرَه، بل يفسِّقُون من قاتله ولم يتب من قتاله. يجعلون هؤلاء من أكابر المنافقين الزنادقة، فهذه مقالة المعتزلة في حقهم، فكيف تكون مقالة أهل السنة

---

(١) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفرَّاء، القاضي الكبير، أبو يعلىٰ، إمام الحنابلة، كان عالم زمانه، وفريد عصره، ولد ـ رحمه الله ـ سنة ٣٨٠هـ، وعنه انتشر مذهب الإمام أحمد، وكان له في الأصول والفروع القدم العالي، والحنابلة لتصانيفه يدرسون، وبقوله يفتون، وعليه يعوّلون، فهو من أعلم الناس بمذهب الإمام أحمد، واختلاف الروايات عنه، وما صحَّ لديه منها، مع معرفته بالقرآن وعلومه، والحديث، والفتاوىٰ، والجدل، مع الزهد والورع والعفَّة والقناعة، وانقطاعه عن الدنيا وأهلها واشتغاله بالعلم ونشره، سمع بمكة ودمشق وحلب وقلَّد القضاء في الدماء والفروج والأموال، ثم أضيف إلىٰ ولايته بالحريم قضاء حران وحلوان. وله عدة تصانيف، منها: أحكام القرآن، والمعتمد، وعيون المسائل، والرد علىٰ الباطنية، والعدة، والكفاية، وشرح الخرقي... إلىٰ غير ذلك.
تُراجع ترجمته في: المنهج الأحمد (٢/ ١٢٨ ـ ١٤٢) ترجمة رقم (٦٧٢)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٠٦، ٣٠٧).

(٢) تقدمت ترجمته ص (١٩) من هذا الكتاب.

(٣) يُراجع: فضائح الباطنية ص (٣٧).

(٤) هو: عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، القاضي المتكلم، كان من غلاة المعتزلة، شافعي المذهب، يسمىٰ قاضي القضاة، ولكنه غير محمود في القضاء، خبيث المعتقد قليل اليقين، ولاه فخر الدولة ابن بويه قضاء الري وقزوين، وصنَّف كتباً كثيرة في التفسير والكلام، قيل عنه: أنه ثقة في حديثه لكنه داع إلىٰ البدعة لا تحل الرواية عنه. توفي سنة ٤١٥هـ.
تُراجع ترجمته في: لسان الميزان (٣/ ٣٨٦، ٣٨٧) ترجمة رقم (١٥٣٩)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٠٢، ٢٠٣).

(٥) تقدَّم الكلام عنهم ص (٦٠) من هذا الكتاب.

والجماعة؟!!، والرافضة[١] الإمامية[٢]، مع أنهم أجهل الخلق، وأنهم ليس لهم عقل ولا نقل، ولا دين صحيح، ولا دنيا منصورة ـ يعلمون أن مقالة هؤلاء الزنادقة المنافقين ويعلمون أن مقالة هؤلاء الباطنية شرّ من مقالة الغالية الذين يعتقدون إلٰهية علي[٣] ـ رضي الله عنه ـ.

وأما القدح في نسبهم فهو مأثور عن جماهير علماء الأمة من علماء الطوائف.

وهؤلاء ـ بنو عبيد القدّاح[٤] ـ ما زالت علماء الأمة المأمونون علماً وديناً يقدحون في نسبهم ودينهم، لا يذمونهم بالرفض والتشيع، فإن لهم في هذا شركاء كثيرين، بل يجعلونهم من القرامطة[٥] الباطنية[٦]، الذين منهم الإسماعيلية[٧] والنصيرية[٨]، وأمثالهم من الكفار المنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، والذين أخذوا بعض قول المجوس وبعض قول الفلاسفة. فمن شهد لهم بصحة نسب أو إيمان، فأقل ما في شهاداته أنه شاهد بلا علم، قاف ما ليس له به علم، وذلك حرام باتفاق الأمة، بل ما ظهر عنهم من الزندقة والنفاق، ومعاداة ما جاء به الرسول ﷺ: دليلٌ على بطلان نسبهم الفاطمي، فإن من يكون من أقارب النبي ﷺ القائمين بالخلافة في أمته، لا تكون معاداته لدينه كمعادة هؤلاء، فلم يعرف في بني هاشم[٩]، ولا بني أمية[١٠]: من كان خليفة وهو معاد لدين الإسلام، فضلاً عن أن يكون معادياً كمعاداة هؤلاء، بل أولاد الملوك الذين لا دين لهم يكون فيهم نوع حمية لدين آبائهم وأسلافهم، فمن كان من ولد سيد ولد آدم، الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق كيف دينه هذه المعاداة؟!. ولهذا نجد جميع المأمونين على دين الإسلام باطناً وظاهراً معادين

---

(١) تقدَّم الكلام عنهم ص (٣٦) من هذا الكتاب.
(٢) تقدَّم الكلام عنهم ص (٦٧) من هذا الكتاب.
(٣) تقدَّم الكلام عنهم ص (٦٢، ١٠٧) من هذا الكتاب.
(٤) تقدَّم الكلام عنهم ص (١٣٧، ١٣٨) من هذا الكتاب.
(٥) تقدَّم الكلام عنهم ص (٦٢) من هذا الكتاب.
(٦) تقدَّم الكلام عنهم ص (٦٢، ١٠٧) من هذا الكتاب.
(٧) تقدَّم الكلام عنهم ص (١٠٧) من هذا الكتاب.
(٨) تقدَّم الكلام عنهم ص (١٠٧) من هذا الكتاب.
(٩) تقدَّم الكلام عنهم ص (١٠٧) من هذا الكتاب.
(١٠) تقدَّم الكلام عنهم ص (٧١) من هذا الكتاب.

لهؤلاء، إلا من هو زنديق عدوٌ لله ورسوله، أو جاهل لا يعرف ما بعث به رسوله، وهذا مما يدل على كفرهم، وكذبهم في نسبهم. ا.هـ[١].

فأوّل من قال بهذه البدعة ـ بدعة الاحتفال بالمولد النبوي ـ هم الباطنية الذين أرادوا أن يُغيِّروا على الناس دينهم، وأن يجعلوا فيه ما ليس منه؛ لإبعادهم عمَّا هو من دينهم، فإشغال الناس بالبدع طريق سهل لإماتة السنة، والبُعْد عن شريعة الله السمحة، وسنته ﷺ المطهّرة.

وكان دخول العبيديين مصر سنة ٣٦٢هـ، في الخامس من رمضان[٢]، وكان ذلك بداية حكمهم لها.

وقيلَ: يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٣٦٢هـ[٣]، فبدعة الاحتفال بالموالد عموماً، ومولد النبي ﷺ خصوصاً، إنَّما ظهرت في عهد العبيديين، ولم يسبقهم أحدٌ إلى ذلك.

قال المقريزيُّ[٤]: (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية، وتكثر نعمهم.

وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي:

موسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي ﷺ، ومولد

---

(١) يُراجع: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ١٢٠ ـ ١٣٢).

(٢) يُراجع: البداية والنهاية (١١/ ٣٠٦).

(٣) يُراجع: اتعاظ الحنفا (١/ ١٣٤).

(٤) هو: أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الحسيني العبيدي البعلي الأصل، القاهري، أبو العباس، المعروف بابن المقريزي نسبة لحارة في بعلبك تسمى بالمقارزة، ولد سنة ٧٦٦هـ، حفظ القرآن وسمع عن جماعة من العلماء وحج فسمع بمكة من علمائها وسمع في الشام من جماعة وكان مائلاً إلى مذهب الظاهرية، ولي الحسبة في القاهرة، وكذلك الخطابة بجامع عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ، والإمامة بجامع الحاكم، وعرض عليه قضاء دمشق فرفض. وله من المصنفات كتب كثيرة، منها: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، نشر فيه محاسن العبيديين وفخَّم شأنهم وأشاد بذكر مناقبهم؛ لأنه ينتسب إليهم، وكذلك اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، كسابقه في ذكر مناقب العبيديين، والتاريخ الكبير. وكان حسن الصحبة، حلو المحاضرة، توفي سنة ٨٤٥هـ بالقاهرة.
تُراجع ترجمته في: شذرات الذهب (٧/ ٢٥٤، ٢٥٥)، والبدر الطالع (١/ ٧٩ ـ ٨١) ترجمة رقم (٤٦).

علي بن أبي طالب[١] ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ، ومولد الحسن[٢]، ومولد الحسين[٣] عليهما السلام، ومولد فاطمة الزهراء[٤] عليها السلام، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وسماط رمضان، وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النوروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات). ا. هـ[٥].

ثم تكلم عن كل موسم، ومراسم الاحتفال فيه.

فهذه شهادة ظاهرة واضحة من المقريزي[٦] ـ وهو من المثبتين انتسابهم إلى ولد علي بن أبي طالب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ومن المدافعين عنهم ـ أن العبيديين هم سبب البلاء على المسلمين، وهم الذين فتحوا باب الاحتفالات البدعية على مصراعيه، حتى أنهم كانوا يحتفلون بأعياد المجوس والمسيحيين كالنوروز، والغطاس، والميلاد، وخميس العدس، وهذا من الأدلة على بعدهم عن الإسلام، ومحاربتهم له، وإن لم يجهروا بذلك ويظهروه. ودليل أيضاً على أن إحياءهم للموالد الستة المذكورة، ـ ومنها المولد النبوي ـ ، ليس محبة له ﷺ، وآله كما يزعمون ، وكما يظهرون للعامة والسذَّج من الناس، وإنَّما قصدهم بذلك نشر خصائص مذهبهم الإسماعيلي الباطني، وعقائدهم الفاسدة بين الناس، وإبعادهم عن الدين الصحيح، والعقيدة السليمة بابتداعهم هذه الاحتفالات، وأمر الناس بإحيائها، وتشجيعهم على ذلك، وبذل الأموال الطائلة في سبيل ذلك.

---

(١) تقدمت ترجمته ص (٦٩) من هذا الكتاب.

(٢) تقدمت ترجمته ص (١٠٠) من هذا الكتاب.

(٣) تقدمت ترجمته ص (١٠٠) من هذا الكتاب.

(٤) هي: فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين محمد بن عبد الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ كانت أصغر بنات النبي ﷺ وأحبهن إليه، ولدت قبل البعثة بقليل، تزوجها علي بن أبي طالب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ في محرم سنة اثنتين للهجرة، وكان سنها يوم زواجها خمس عشرة سنة، فولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب، ولم يتزوج علي عليها غيرها حتى ماتت، وهي سيدة نساء العالمين كما قال ـ عليه السلام ـ ، تُوفيت ـ رضي الله عنها ـ سنة ١١ هـ بعدوفاته ﷺ بستة أشهر.
تُراجع ترجمتها في: الاستيعاب (٤/ ٣٦٢ ـ ٣٦٩)، والإصابة (٤/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨).

(٥) يُراجع الخطط المقريزية (١/ ٤٩٠).

(٦) تقدمت ترجمته ص (١٤٥) من هذا الكتاب.

فخلاصة ما سبق أن أول من احتفل بالمولد النبوي هم بنو عبيد القداح (الفاطميون)، ويدلُّ على ذلك: ما ذكره المقريزي في خططه ـ وسبق وذكرته ـ وما ذكره القلقشندي[١] في صبح الأعشى[٢].

وقد رجح هذا وأخذ به جماعة من العلماء المتأخرين[٣] وصرَّحُوا به.

وأمَّا ما ذكره أبوشامة[٤] في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث)[٥]: من ثنائه على الاحتفال بالمولد النبوي، وأنه من أحسن ما ابتدعَ في زمانه[٦]، وأن أول من احتفل بذلك بالموصل[٧]، الشيخ عمر بن محمد الملا[٨] أحد الصالحين المشهورين،

---

(١) هو: أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس، الشافعي، أديب فقيه، كتب في الإنشاء، وناب في الحكم. توفي في جمادى الآخرة سنة ٨٢١هـ وعمره ٦٥سنة. من مؤلفاته: صبح الأعشى في معرفة الإنشا.
تُراجع ترجمته في: شذرات الذهب (٧/ ١٤٩)، ومعجم المؤلفين (١/ ٣١٧)، والأعلام (١/ ١٧٧).

(٢) يُراجع: صبح الأعشى (٣/ ٤٩٨، ٤٩٩).

(٣) منهم: محمد بخيت المطيعي في كتابه أحسن الكلام ص (٤٤)، وعلي محفوظ في كتابه الإبداع ص(٢٥١)، وحسن السندوبي في كتابه تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي ص (٦٢)، وعلي الجندي في كتابه نفح الأزهار ص (١٨٥، ١٨٦)، وإسماعيل الأنصاري في كتابه القول الفصل ص (٦٤)، وغيرهم من المؤلفين في هذا المجال.

(٤) تقدمت ترجمته ص (١٤٢) من هذا الكتاب.

(٥) يُراجع: ص (٣١) من هذا الكتاب.

(٦) ما ذكره أبو شامة هو وغيره من الاستحسان للاحتفال بالمولد النبوي خطأ واضح، مخالف لما عليه المحققون من علماء هذه الأمة، ويعتبر من زلاَّت العلماء وأخطائهم، عفا الله عنا وعنه.

(٧) هي المدينة المشهور، ومحط الركبان، وهي باب العراق، ومفتاح خراسان وسميت بالموصل؛ لأنَّها وصلت بين الجزيرة والعراق، أو بين دجلة والفرات، وتقع على نهر دجلة، وأول من عظمها من الخلفاء: مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية، وصفها العلماء بصحة الهواء، وعذوبة الماء. يُراجع: معجم البلدان (٥/ ٢٢٣ ـ ٢٢٥).

(٨) هو: عمر بن محمد بن خضر الإربلي الموصلي، أبو حفص، المعروف بالملا شيخ الموصل، كان صالحاً زاهداً عابداً، وكان الملك العادل نور الدين بن محمود زنكي أمر نوابه في الموصل ألا يبرموا أمراً حتى يُعْلِمُوا الملا، وكان له زاوية يقصد فيها، وله في كل سنة دعوة في شهر المولد، يحضر فيها عنده الملوك والأمراء والعلماء والوزراء، ويحتفل بذلك ـ عفا الله عنا وعنه ـ. توفي سنة ٥٧٠هـ.
تُراجع ترجمته في: البداية والنهاية (١٢/ ٢٧٩)، والأعلام (٥/ ٦٠، ٦١).

وبه اقتدىٰ في ذلك صاحب إربل[١]: فلا يدلُّ علىٰ أن أول من احتفل بالمولد النبوي، هو صاحب إربل؛ لأمرين:

أحدهما: أن أبا شامة ـ رحمه الله ـ قيَّد هذه الأولوية بقوله: (أول من فعل ذلك بالموصل)[٢]. فكلامه يدلُّ علىٰ أن أول من احتفل بالمولد النبوي في الموصل هو صاحب إربل، اقتداءً بالشيخ عمر بن محمد الملا، وليس فيه دلالة علىٰ أن أول من احتفل بالمولد النبوي علىٰ الإطلاق هو صاحب إربل.

ولكن السيوطيَّ[٣] ـ رحمه الله ـ أطلق ذلك في كتابه (حُسن المقصد في عمل المولد) ـ الذي ضمنه كتابه الحاوي ـ فقال: (وأوَّلُ من أحدث فعل ذلك ـ الاحتفال بالمولد النبوي ـ صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبرىٰ[٤] بن زين الدين علي بن

---

(١) إربل: ـ بالكسر ثم السكون ثم ياء مكسورة ـ: من الربل أو الريبال، وهو نوع من أنواع النبات، وهي قلعة حصينة، ومدينة كبيرة، علىٰ تل عال من التراب وهي من أعمال الموصل، وبينهما مسيرة يومين، وقد قام بعمارتها الأمير كوكبوري، فأقام بها وقامت بمقامه بها ـ وهو المراد بقول أبي شامة: صاحب إربل ـ وأكثر أهلها من الأكراد. وتقع في شمال العراق شرقي مدينة الموصل. يُراجع: معجم البلدان (١/ ١٣٧ ـ ١٣٩).

(٢) يُراجع: الباعث الحثيث ص (٢١).

(٣) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ، مؤرخ أديب، له نحو ستمائة مصنف. ولد سنة ٨٤٩هـ بالقاهرة، ونشأ يتيماً، فلما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، فألَّف أكثر كتبه التي منها: الإتقان في علوم القرآن، والأشباه والنظائر، والحاوي للفتاوىٰ، والجامع الصغير، وجمع الجوامع. توفي سنة ٩١١هـ وعمره حوالي ٦٢ سنة.
تُراجع ترجمته في: شذرات الذهب (٨/ ٥١ ـ ٥٥)، والبدر الطالع (١/ ٣٢٨ ـ ٣٣٥) ترجمة رقم (٢٢٨)، والأعلام (٣/ ٣٠١، ٣٠٢).

(٤) هكذا ورد اسمه في كتاب «الحاوي» وصحة الاسم هو: أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد، الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل، ولد سنة ٥٤٩هـ، تولىٰ الملك بعد أبيه سنة ٥٦٣هـ وكان عمره ١٤ سنة، ثم اعتقل وأُخرج، فاتصل بخدمة صلاح الدين الأيوبي، وحظي عنده، وزوَّجه أخته ربيعة خاتون بنت أيوب، وشهد مع صلاح الدين مواقف كثيرة أَبَان فيها عن شجاعته، خاصة في حطين، ولأَّه صلاح الدين إربل بعد موت أخيه زين الدين سنة ٥٨٠هـ، وكان شهماً شجاعاً فاتكا عاقلاً عالماً عادلاً ـ رحمه الله ـ، ومما اشتهر به: عمله للمولد النبوي واحتفاله الهائل به، وقد صنَّفَ له أبو الخطاب بن دِحية مجلداً في المولد النبوي سمَّاه: التنوير في مولد البشير النذير، فأجازه علىٰ ذلك بألف دينار. وقد عمر الجامع=

بكتكين، أحد الملوك الأمجاد). ا. هـ[١].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ[٢]: (وهذه البدعة ـ الاحتفال بالمولد ـ أول من أحدثها أبو سعيد كوكبوري في القرن السادس الهجري). ا. هـ[٣].

= المظفري بسفح قاسيون، وكان كثير الصدقة، توفي بقلعة إربل سنة ٦٣٠هـ.
تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (٤/ ١١٣ ـ ١٢١) ترجمة رقم (٥٤٧)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٣١).

(١) يُراجع: الحاوي (١/ ١٨٩) الكتاب رقم (٢٤).

(٢) هو: العلامة الأصولي المحدث الفقيه الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد في الرياض سنة ١٣١١هـ، وفي السادسة عشرة من عمره كف بصره وعلى أثر ذلك حفظ القرآن عن ظهر قلب، تلقى العلم عن جمع من العلماء والمشايخ في الرياض، ومنهم والده الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف، وعمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وبعد وفاة عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف سنة ١٣٣٩هـ عينه الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ خلفاً له في الفُتيا وإمامة المسجد والتدريس في مسجد الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في حي دخنة بالرياض (الذي يتولى إمامته الآن الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله آل الشيخ). وتخرج على يديه جمع من العلماء والمشايخ وطلاب العلم، ممن شغلوا مناصب القضاء والتدريس والدعوة، وكان يتميز بحافظة نادرة كانت سبباً في حفظه لكثير من المتون وكذلك ذكاءً حاداً، وبُعْد نظر وحظاً وافراً من الشجاعة، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يتردد في إعلان الحق أيا كان المخاطب، وكانت له هيبة شديدة في نفوس الناس، مع أنه كان أنيساً عند مخالطته لمعاشريه يحسن الفرق بين مجالس الجد والعلم والعمل ومجالس الراحة في السفر والنزهة، وكان ورعاً زاهداً في الدنيا، كارهاً للمديح والتعلق، سخي اليد كثير البذل، كثير الدعاء والاستغفار، ليِّن القلب محيياً لليل بالصلاة سفراً وحضراً. وقد تولى كثيراً من الأعمال: كالإفتاء، والقضاء. وتمييز الأحكام، ورئاسة المعاهد العلمية والكليات، والإشراف على مدارس البنات، ورئاسة الجامعة الإسلامية ورئاسة مجلس القضاء، ورئاسة رابطة العالم الإسلامي، وباختصار كان له ـ رحمه الله ـ الإشراف التام على جميع الشئون الإسلامية داخل المملكة وخارجها مما يتصل بالمملكة وتعني بتوجيهه، ولانشغاله بهذه الأعمال ـ بالإضافة إلى التدريس ـ، لم تكن في حياته ـ رحمه الله ـ فرصة للتأليف، وأجل آثاره: مجموع الفتاوى والرسائل الذي جمعه الشيخ محمد بن قاسم، ويقع في ثلاثة عشر جزءاً تقريباً، وكذلك كثير من الرسائل التي كتبها في مناسبات مختلفة. توفي ـ رحمه الله ـ في رمضان سنة ١٣٩٨هـ، وكانت جنازته مشهودة، شهدها خلق عظيم من العلماء والعامة، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.
تُراجع ترجمته في: مقدمة مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ٩ ـ ٢٣)، وعلماء نجد (١/ ٨٨ ـ ٩٧).

(٣) يُراجع: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (٣/ ٥٩).

وقال الشيخ حمود التويجري[١]: (إن الاحتفال بالمولد بدعة في الإسلام أحدثها سلطان إربل في آخر القرن السادس من الهجرة، أو في أول القرن السابع). ا. هـ[٢].

فإذا عرفنا ذلك، فلا شكَّ أن العبيديين هم أول من احتفل بالمولد النبوي، حسب ما ورد في كتب التاريخ والسير؛ لأنَّ العبيديين دخلوا مصر وأسسوا ملكهم في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، واستمرت دولتهم القرن الخامس، ونصف القرن السادس الهجري.

فقد دخل المعز معد بن إسماعيل[٣] القاهرة في سنة ٣٦٢هـ[٤] في رمضان، وكان

---

(١) هو: حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن بن حمود بن عبد الله بن مقحم بن عبد الله التويجري، من بكر بن وائل ـ وهي بطن من ربيعة ـ ولد في المجمعة سنة ١٣٣٤هـ ونشأ بها، وحفظ القرآن في الحادية عشرة من عمره، ولازم الشيخ عبد الله العنقري ـ رحمه الله ـ ملازمة طويلة نحواً من ست وعشرين سنة، تولى القضاء في رحيمة ـ بالمنطقة الشرقية ـ عام ١٣٦٨هـ، ثم ترك القضاء، ثم وليه مرة أخرى في الزلفي عام ١٣٧٠هـ، وبقي فيه سنتين وأشهراً، ثم ترك القضاء؛ طلباً للتدريس في المعاهد العلمية إبان افتتاحها، وكذلك في كلية الشريعة بالرياض، ثم الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وطلب للعمل في الرئاسة العامة للإفتاء، ورفض ذلك كله حرصاً على التفرغ لطلب العلم والتأليف، صنَّف عدة مؤلفات تزيد على ثلاثين مؤلف منها: إتحاف الجماعة، والإيضاح والتبيين، والصارم المشهور، وفصل الخطاب، ولازال حتى الآن والحمد لله يتمتع بالصحة والعافية، وهو قليل الجنس في هذا الزمان في الزهد والورع، والكفاف عن الناس، وإحياء الليل، وصلة الرحم، والحرص على تطبيق السنَّة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أمدَّ الله في عمره، ونفع به المسلمين، وأصلح لنا وله النية والذرية.

(٢) يُراجع: الرد القوي ص (٨٩).

(٣) هو: معد بن إسماعيل بن سعيد بن عبد الله، أبو تميم، المدعي أنه فاطمي، تولى الخلافة بعد أبيه المنصور سنة ٣٤١هـ بالمنصورية في المغرب، وفي سنة ٣٥٨هـ بعث قائده جوهر، فأخذ له بلاد مصر بعد وفاة كافور الأخشيدي، فجمع المعز أمواله وأولاده وخرج متجهاً إلى مصر سنة ٣٦١هـ ودخل الإسكندرية في نفس السنة، ودخل القاهرة سنة ٣٦٢هـ، وهي المدينة التي بناها قائده جوهر الصقلي. وكان فيه شهامة وقوة وحزم وسياسة، ولكنه كان منجماً مظهراً الرفض ومبطناً الكفر المحض، فكان أول من ملك بلاد مصر من العبيديين. توفي ـ قبَّحه الله ـ سنة ٣٦٥هـ وكان ملكه ٢٣ سنة منها بمصر سنتان وزيادة أشهر، والباقي ببلاد المغرب، وعمره ٤٥ سنة.

تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٨) ترجمة رقم (٧٢٧)، والبداية والنهاية (١١/ ٣١٧ ـ ٣١٩)، والأعلام (٧/ ٢٦٥).

(٤) يُراجع: البداية والنهاية (١١/ ٣٠٦)، واتعاظ الحنفا (١/ ١٣٤).

ذلك بداية حكمهم في مصر(١). وقيل: في سنة ٣٦٣هـ(٢).

وكان آخر خليفة فيهم هو العاضد(٣)، توفي سنة ٥٦٧هـ(٤).

وأما مظفر الدين(٥) صاحب إربل، فولادته كانت في سنة ٥٤٩هـ. وتوفي سنة ٦٣٠هـ(٦).

فهذا دليلٌ قاطعٌ على أن العبيديين سبقوا صاحب إربل ـ الملك المظفر ـ بالاحتفال بالمولد النبوي.

فصاحب إربل ليس أول من احتفل بالمولد النبوي، وإنَّما سبقه إلى ذلك العبيديون بحوالي قرنين من الزمان، وهذا لا يمنع أن يكون صاحب إربل هو أول من احتفل بالمولد النبوي في الموصل؛ لأنَّ احتفالات العبيديين كانت في دولتهم ـ وهي في مصر كما ذُكِرَ في كتب التاريخ ـ، والله أعلم.

* * *

(١) أما أول من حكم منهم: فهو المهدي عبيد الله، وكان ذلك سنة ٢٩٦هـ وبنى المهدية وذلك في المغرب، ثم جاء بعده ابنه القائم محمد ثم ابنه المنصور إسماعيل ثم ابنه المعز معد وهو أول من دخل منهم ديار مصر وأول من ملكها منهم.
يُراجع: البداية والنهاية (١١/ ٢٨٣).

(٢) يُراجع: أخبار ملوك بني عبيد ص (٨٨).

(٣) هو: عبد الله ـ العاضد ـ بن يوسف بن الحافظ بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن عبد العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي، آخر ملوك مصر من العبيديين. ولد سنة ٥٤٦هـ، وكان ـ قبحه الله ـ شديد التشيع، متغالياً في سب الصحابة، مستحلاً لدماء أهل السنة، محباً لسفك الدماء، محتكراً للغلات، توفي سنة ٥٦٧هـ.
تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (٣/ ١٠٩ ـ ١١٢) ترجمة رقم (٣٥٤)، والبداية والنهاية (١٢/ ٢٨٠، ٢٨١).

(٤) يُراجع: البداية والنهاية (١١/ ٢٨٠)، واتعاظ الحنفا (٣/ ٣٢٤ ـ ٣٣٢).

(٥) تقدمت ترجمته ص (١٤٨) من هذا الكتاب.

(٦) يُراجع: وفيات الأعيان (٤/ ١٢٠).

المبحث الثاني
حالة المجتمع في ذلك العصر

كانت سياسة العبيديين موجهة إلى غاية واحدة، هي العمل بكل جدٍّ وإخلاص لحمل الناس على اعتناق مذهبهم، وجعله سائداً في كافة أنحاء الديار المصرية، وغيرها من البلاد التي كانوا يحكمونها، والمجاورة لهم.

فقد كان العزيز[١] يعطف على النصارى واليهود، كما كان أبوه ـ المعز معد أبو تميم[٢] ـ قبله، ولكن العزيز كان أكثر عطفاً على النصارى، لِمَا كان بينه وبينهم من صلة النسب[٣].

ورفع العزيز عيسى بن نسطورس[٤] إلى كرسي الوزارة، كما عيَّن منشأ

---

(١) هو: أبو المنصور نزار بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٣٦٥هـ، كان كريماً شجاعاً، وبني في عهده الجامع بالقاهرة، وكان محباً للصيد، وتوسعت مملكته ففتحت له حمص وحماة وحلب، وخطب له بالموصل واليمن ومكة، وضرب اسمه على السكَّة والبنود، وفرقت على الناس، وهو أول من لبس منهم الخفين والمنطقة، وأول من اتخذ منهم الأتراك، وجعل منهم القواد، وأول من رمى منهم بالنشاب، وكانت أيامه كلها أعياداً ـ بدعية ـ. توفي في طريقه إلى بلبيس سنة ٣٨٦هـ وعمره ٤٢ سنة، وكان حكمه بعد أبيه ٢١ سنة.
تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٦) ترجمة رقم (٧٥٩)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٥٨)، والخطط المقريزية (٢/ ٢٨٤، ٢٨٥).

(٢) تقدمت ترجمته ص (١٥٠) من هذا الكتاب.

(٣) فقد تزوج بنصرانية واستعمل أخويها على بعض الكنائس. يُراجع: تاريخ الدولة الفاطمية ص (٢٠٢).

(٤) وهو نصراني استوزره العزيز لمدة سنة وعشرة أشهر، وسلَّمه سائر الدواوين لينظر فيها، ويأمر وينهي، ويخاطب جميع الكتاب عن العزيز واعتز به النصارى فقلدهم المناصب العامة في الدولة، وآذى المسلمين حتى كتب إلى العزيز: بالذي أعز اليهود بمنشأ، والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك، ألا كشفت ظلامتي، فقبض عليه العزيز، وأخذ منه ثلاثمائة ألف دينار، ثم أقره الحاكم بأمر الله على الديوان الخاص، ثم عزله لمحاباته أهل ملته، ثم قتله سنة ٣٨٧هـ.
يُراجع: اتعاظ الحنفا (١/ ٢٨٣، ٢٩٣، ٢٩٧، و ٢/ ٦، ٨)، وتاريخ الدولة الفاطمية ص (٢٧٢)، والوزارة والوزراء ص (٢٤٤، ٢٤٥).

اليهودي[١]، والياً على الشام، فأظهر ابن نسطورس ومنشأ محاباة جليَّة لبني ملتهم، فعينوهم في مناصب الدولة بعد أن أقصوا المسلمين عنها، فقدم المسلمون الاحتجاجات على تلك المحاباة التي أظهرها الخليفة لغير المسلمين وبلَغَ من حال هؤلاء الساخطين أن كتبت امرأة إلى العزيز[٢]: بالذي أعز اليهود بمنشأ، والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذلَّ المسلمين بك ألا كشفت ظلامتي[٣].

فأمر بالقبض على ابن نسطورس، وكتب إلى الشام بالقبض على منشأ وغيره من الموظفين اليهود، وأمر بردّ الدواوين والأعمال إلى الكتاب المسلمين، وعيَّن القضاة للإشراف على أعمالهم في جميع أنحاء الدولة، لكن الأميرة ست الملك[٤] ابنة الخليفة شفعت لابن نسطورس فردّ العزيز الوزارة إليه ثانية، وشرط عليه استخدام المسلمين في الحكومة.

ولقد تقلَّد أهل الكتاب أرقى المناصب وأعلاها في عهد العزيز[٥] (٣٦٥ ـــ ٣٨٦هـ)، وشغلوا في عهد المستنصر[٦] (٤٢٧ ـ ٤٨٧)، ومن جاء بعده من الخلفاء، معظم المناصب المالية في الدولة، بل تقلَّدُوا الوزارة أيضاً.

---

(١) هو: منشأ بن إبراهيم بن الفرار اليهودي، استنابه وزير العزيز عيسى بن نسطورس في الشام، فمال إلى قومه اليهود، وكان في بداية أمره كاتب الجيش في سنة ٣٧٢هـ، عزله العزيز في الوقت الذي عزل فيه عيسى بن نسطورس كما في ترجمة عيسى السابق ذكرها.
يُراجع: ذيل تاريخ دمشق ص (٢٨ ـ ٣٣)، واتعاظ الحنفا (١/ ٢٩٧).

(٢) تقدمت ترجمته ص (١٥٢) من هذا الكتاب.

(٣) يُراجع: البداية والنهاية (١١/ ٣٥٨)، والمنتظم (٧/ ١٩٠)، واتعاظ الحنفا (١/ ٢٩٧).

(٤) هي: ست الملك بنت العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله العبيدية: أميرة من الحازمات المدبرات، أخت الحاكم بأمر الله، وكان يستشيرها في معضلاته، ثم تغير عليها وهمَّ بقتلها، وساءت سيرته، فاتفقت مع حسين بن دواس ـ من كبار القواد ـ ووعدته بتوليته إدارة الملك، فاغتال الحاكم، ثم أوعزت إلى أحد خدمها فقتل ابن دواس، توفيت بمصر سنة ٤١٥هـ.
يُراجع: اتعاظ الحنفا (٢/ ١١٥ ـ ١١٧، ١٢٤ ـ ١٤٨، ١٧٤)، والأعلام (٣/ ٧٧، ٧٨).

(٥) تقدمت ترجمته ص (١٥٢) من هذا الكتاب.

(٦) هو: معد أبو تميم بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز العبيدي، تولى الخلافة سنة ٤٢٧هـ وعمره سبع سنوات، واستمر في الخلافة ستين سنة، حدث في أيامه غلاء عظيم، وجوع لم يعهد مثله منذ زمان يوسف ـ عليه السلام ـ لمدة سبع سنين، أكل الناس فيها بعضهم بعضاً، حتى تولى الأمر بدر الجمالي فانصلحت الأمور. توفي ليلة عيد الغزير ـ الشيعي البدعي ـ سنة ٤٨٧هـ. =

ولم تقتصر هذه المعاملة على ما تقدَّم، فقد ولَّع بعض الخلفاء العبيديين: كالحافظ[١] مثلاً (٥٢٤ ـ ٥٤٤هـ) بزيارة أديرة[٢] النصارىٰ، وكان الآمر[٣] (٤٩٥ ـ ٥٢٤هـ) يعطي الرهبان[٤] في بعض الأديرة عشرة آلاف درهم كلما خرج للصيد، بل قد ازدادت موارد الكنائس[٥] المصرية زيادة عظيمة في عهد العبيديين[٦].

فقد كان العبيديون يعاملون النصارىٰ معاملة تنطوي علىٰ العطف والرعاية والمحاباة، فإذا كان هذا موقفهم من اليهود والنصارىٰ فما موقفهم من أهل السنة؟!.

لقد عمل العبيديون علىٰ لعن الخلفاء الثلاثة ـ أبي بكر[٧]، وعمر[٨]، وعثمان[٩]

= تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (٥/ ٢٢٩، ٢٣٠) ترجمة رقم (٧٢٨)، شذرات الذهب (٣/ ٣٨٢، ٣٨٣).

(١) هو: عبد المجيد بن محمد بن المستنصر العبيدي، أبو الميمون، الملقب بالحافظ، من خلفاء الدولة العبيدية بمصر، ولد في عسقلان سنة ٤٦٧هـ، وتولىٰ الخلافة سنة ٥٢٤هـ، وكان كثير الفتك بوزرائه وخاصته، توفي سنة ٥٤٤هـ بمصر.
تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ١٩٩ ـ ٢٠٢).

(٢) أديرة: جمع دير، وهو خان النصارىٰ، وهو بيت يتعبد فيه الرهبان، ويكون في الصحاري ورؤوس الجبال، وإذا كان داخل المصر فهو كنيسة أو بيعة. يُراجع: لسان العرب (٤/ ٣٠٠، ٣٠١) مادة (دير)، ومعجم البلدان (٢/ ٤٩٥).

(٣) هو: منصور بن أحمد بن معد العبيدي، أبو علي، ولد في في القاهرة سنة ٤٩٠هـ وبُويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٩٥هـ، وهو طفل له من العمر خمس سنين، وقع في آخر أيامه غلاء شديد، وكان جريئاً علىٰ سفك الدماء، وارتكاب المحظورات، واستحسان القبائح، قُتِلَ سنة ٥٢٤هـ وعمره ٣٤ سنة وخلافته ٢٩ منها ٢٠ سنة محجوراً عليه من قبل وزيره الأفضل بن أمير الجيوش حتىٰ قتل وزيره سنة ٥١٥هـ.
تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (٥/ ٢٩٩ ـ ٣٠٢)، والخطط المقريزية (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

(٤) الراهب: المتعبد في الصومعة، وأحد رهبان النصارىٰ، وكانوا يترهبون بالتخلي عن أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها. يُراجع: لسان العرب (١/ ٤٣٧، ٤٣٨).

(٥) الكنائس: جمع كنيسة، والكنيسة متعبد اليهود أو النصارىٰ أو الكفار. يُراجع: القاموس المحيط (٢/ ٢٥٦) باب السين فصل الكاف.

(٦) يُراجع: تاريخ الدولة الفاطمية ص (٢٠٢ ـ ٢١٦).

(٧) تقدمت ترجمته ص (٢٧) من هذا الكتاب.

(٨) تقدمت ترجمته ص (٢٠) من هذا الكتاب.

(٩) تقدمت ترجمته ص (٦٨) من هذا الكتاب.

ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وغيرهم من الصحابة؛ إذ عدّوهم أعداءً لعلي[١] ـ رضي الله عنه ـ، وتفشت فضائل علي وأولاده من بعده على السكة[٢] وعلى جدران المساجد، وكان الخطباء يلعنون الصحابة على كافة منابر مصر.

وقد ألزم العبيديون جميع الموظفين المصريين أن يعتنقوا المذهب العبيدي الباطني، كما حتم على القضاة أن يصدروا أحكامهم وفق قوانين هذا المذهب.

بل إن الحصول على مناصب الدولة مشروط بالتحول إلى المذهب الشيعي، مما دفع بعض الذميين[٣] إلى اعتناق الإسلام، واتخاذ التشيع مذهباً لهم[٤].

وكان من عدائهم للسنة وأهلها: أن أمر العزيز[٥] بقطع صلاة التروايح من جميع البلاد المصرية، وذلك سنة ٣٧٢هـ. وكذلك في سنة ٣٩٣هـ قبض على ثلاثة عشر رجلاً، وضربوا وشهروا على الجمال، وحبسوا ثلاثة أيام، من أجل أنهم صلُّوا صلاة الضحى.

وفي سنة ٣٨١هـ ضرب رجل بمصر، وطيف به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس[٦] ـ رحمه الله ـ.

وفي سنة ٣٩٥هـ في شهر صفر كتب على سائر المساجد، وعلى الجامع العتيق[٧] بمصر، من ظاهره وباطنه، ومن جميع جوانبه، وعلى أبواب الحوانيت، والحجر،

---

(١) تقدمت ترجمته ص (٦٩) من هذا الكتاب.

(٢) السكَّة: حديدة منقوشة، يضرب عليها الدراهم، وتطلق ويُراد بها الدينار والدرهم المضروبين، سمي كل واحد منهما سكة؛ لأنَّه طبع بالحديدة المعلمة له. يُراجع: القاموس المحيط (٣/ ٣١٦) فصل السين، باب الكاف، ولسان العرب (١٠/ ٤٤٠، ٤٤١) مادة (سكك).

(٣) الذميين: نسبة إلى الذمَّة والذمام: وهما بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق، وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم، وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكذلك المجوس؛ لأن لهم شبهة كتاب. يُراجع: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٦٨)، والإفصاح لابن هبيرة (٢/ ٢٩٢).

(٤) يُراجع: تاريخ الدولة الفاطمية ص (٢١٨).

(٥) تقدمت ترجمته ص (١٥٢) من هذا الكتاب.

(٦) تقدمت ترجمته ص (١٢٣) من هذا الكتاب.

(٧) ويقع بمدينة فسطاط مصر، ويقال له: تاج الجوامع، وجامع عمرو بن العاص، وهو أول مسجد أسس بديار مصر في الملة الإسلامية بعد الفتح. يُراجع: الخطط المقريزية (٢/ ٢٤٦).

وعلى المقابر، سبّ السلف ولعنهم، ونقش ذلك، ولوّن بالأصباغ والذهب، وعمل ذلك على أبواب الدور، والقياسر(١)، وأُكره الناس على ذلك(٢).

فكان لعن السنيين تفيض به ألسنة الناس من على المنابر في كافة أنحاء مصر طوال الحكم العبيدي تقريباً، حتى أن العاضد(٣) ـ آخر الخلفاء العبيديين ـ كان شديد التشيع، متغالياً في سبّ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وإذا رأى سنياً استحل دمه(٤).

وأشدُّ من ذلك كله أن الحاكم(٥) العبيدي قد ادَّعى الألوهية، فأمر الناس أن يقوموا على أقدامهم صفوفاً إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه، إعظاماً لذكره، واحتراما لاسمه، وقد فُعِلَ ذلك في سائر ممالكه، حتى في الحرمين الشريفين، وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خرُّوا سجداً له، حتى أنه ليسجد بسجودهم من في الأسواق من الرعاع وغيرهم، ممن كان لا يصلي الجمعة، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة وغيره، ويسجدون للحاكم، حتى أن قوماً من الجهال إذا رأوه يقولون له: يا واحدنا يا أحدنا، يا محيي يا مميت.

وأمر السودان أن يحرقوا مصر وينهبوا ما فيها من الأموال، والمتاع، والحريم، فامتثلوا لأمره، وسبوا النساء، وفعلوا فيهن الفاحشة، والمنكرات، وأحرقوا ثلث مصر، ونهبوا نصفها(٦).

فما تقدَّم يعطي فكرة موجزة عن حالة المجتمع في عهد العبيديين، الذين هم أول من ابتدع الاحتفال بالموالد، وسبق وذكرت أن احتفالاتهم تلك ليست نابعة من محبة للرسول ﷺ وآله؛ لأنَّ من بدر منه ما سبق ذكره آنفاً ـ وإن ادَّعى محبته ـ ﷺ ومحبة آله، فليس صادقاً ولا يعقل أن يصدر منه ذلك.

---

(١) القياسر: هي كالخان العظيم تغلق عليها أبواب حديد، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض، وهي في الواقع مجموعة من المباني العامة على هيئة رواق، وبها حوانيت، ومصانع، ومخازن، وأحياناً مساكن. يُراجع: تاريخ الدولة الفاطمية ص (٦٢٠)، وقد ذكرها المقريزي في الخطط بشيء من التفصيل في (٢/ ٨٦ ـ ٩١).

(٢) يُراجع: الخطط المقريزية (٢/ ٣٤١).

(٣) تقدمت ترجمته ص (١٥١) من هذا الكتاب.

(٤) يُراجع: وفيات الأعيان (٣/ ١١٠).

(٥) تقدمت ترجمته ص (١٣٩) من هذا الكتاب.

(٦) يُراجع: البداية والنهاية (١٢/ ١٠، ١١)، والمنتظم (٧/ ٢٩٨).

وإنَّما كان هدفهم الوحيد هو بلوغ أغراضهم السياسية، ونشر مذهبهم الإسماعيلي الباطني، واستمالة عامة الناس بإقامة الاحتفالات التي تتجلى فيها مظاهر الكرم، والهدايا النفيسة من النقود، والجوائز للشعراء، وكتَّاب القصر، والعلماء، وكذلك الإحسان للفقراء، وإقامة الولائم. وكل هذه الأمور جديرة بأن تستميل كثيراً من الناس إلى اعتناق مذهبهم.

وبما أن نفقاتهم تلك على الاحتفالات والولائم كان القصد منها محاربة دين الله ورسوله، وإبعاد الناس عن العقيدة الصحيحة، والمنهج السليم، فقد ابتلاهم الله بالجوع ونقص الأموال والثمرات. فالبرغم من رخاء مصر، وعظم ثرائها، والأموال التي كانت تفيض بها خزائن العبيديين، والتي كانوا ينفقونها على ملذاتهم، وقصورهم، وبطانتهم الفاسدة، واحتفالاتهم وموالدهم البدعية، فقد حصل لأهل مصر من المجاعة ما تحدثت به كتب التاريخ، ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي[1] في (المنتظم) فقال في حوادث سنة ٤٦٢هـ ـ وهي من سني خلافة المستنصر[2] ـ :

(وفي ذي القعدة ورد من مصر والشام عدد كثير من رجال ونساء، هاربين من الجرف[3] والغلاء، وأخبروا أن مصر لم يبق بها كبير أحد من الجوع والموت، وأن الناس أكل بعضهم بعضاً، وظُهِرَ على رجل قد ذبح عدة من الصبيان والنساء وطبخ لحومهم وباعها، وحفر حفيرة دفن فيها رؤوسهم وأطرافهم، فقتل. وأكلت البهائم فلم يبق إلا ثلاثة أفراس لصاحب مصر ـ المستنصر ـ بعد ألوف من الكراع، وماتت الفيلة، وبيعَ الكلب بخمسة دنانير، وأوقية[4] زيت بقيراط[5]، واللوز والسكر بوزن الدراهم، والبيضة بعشرة قراريط، والراوية من الماء بدينار لغسل الثياب، وخرج وزير صاحب مصر إلى السلطان، فنزل عن بغلته وما معه إلا غلام واحد لعدم ما يطعم

---

(١) تقدمت ترجمته ص (١٤٢) من هذا الكتاب.

(٢) تقدمت ترجمته ص (١٥٣) من هذا الكتاب.

(٣) الجرف: الأخذ الكثير، وجرفت الشيء أجرفه أي: ذهبت به كله أو جله وقد جرفه الدهر أي: اجتاح ماله وأفقره. يُراجع: لسان العرب (٩/ ٢٥، ٢٦).

(٤) الأوقية: زنة سبعة مثاقيل، وزنة أربعين درهماً، أو نصف سدس الرطل. يُراجع: النهاية (٥/ ٢١٧)، باب الواو مع القاف. ولسان العرب (١٥/ ٤٠٤) مادة (وقى).

(٥) القيراط: جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عشره في أكثر البلاد. وأهل الشام يجعلونه جزءاً من أربعة وعشرين. يُراجع: النهاية (٤/ ٤٢)، ولسان العرب (٧/ ٣٧٥).

الغلمان، فدخل، وشُغِل الركابي[١] عن البغلة لضعف قوته فأخذها ثلاثة أنفس ومضوا بها فذبحوها وأكلوها، فأنهى ذلك إلى صاحب مصر فتقدم بقتلهم وصلبهم، فصُلِبُوا، فلمَّا كان من الغد وجدت عظامهم مرمية تحت خشبهم وقد أكلهم الناس، وباع رجل داراً بمصر كان ابتاعها بتسعمائة دينار بسبعين ديناراً فاشترى بها دون الكارة[٢] من الدقيق). ا. هـ[٣].

فخلاصة الكلام: أن العبيديين لما دخلوا مصر وأرادوا نشر مذهبهم الباطني، متخذين التشيع ستاراً يحجب أنظار الناس عن حقيقة دعوتهم، استعملوا في سبيل ذلك شتى الوسائل: فأغروا العامة ورعاع الناس بالهدايا والولائم والاحتفالات كأداة من أدوات نشر مذهبهم، وبالمقابل استعملوا القتل والسجن والأذى لمن عارضهم من أهل السنة المدركين لحقيقة دعوتهم. فعامة الناس كانوا متطلعين إلى هذه الاحتفالات البدعية لحاجتهم لما يُنْفَق فيها من الأموال، ولرغبتهم في ترويح أنفسهم، والاستجابة لهواها. والخوف من السلطان ومن يعلم بدعية هذه الاحتفالات وغيرها من المحدثات لا يستطيع الإنكار لما ينتظره من القمع والتعذيب.

فكان مناخاً مناسباً لانتشار البدع، وتعويد الناس عليها، وتعلقهم بها، لما يعلموا من وراء ذلك من الترغيب والترهيب من السلطان الظالم.

بالإضافة إلى أنهم كانوا يشعرون في قرارة أنفسهم ـ والله أعلم ـ بأنهم أدعياء على النسب الشريف، فظنُّوا ـ وتحقق ظنهم ـ أن إقامة الموالد للنبي ﷺ وآله تثبت للناس صحة نسبهم وانتسابهم إلى آل البيت، فابتدعوا تلك الموالد وأنفقوا عليها الأموال الطائلة، والله أعلم.

* * *

(١) الركابي: نسبة إلى الركاب، والركاب: هو ما يركب من كل دابة. يُراجع: لسان العرب (١/ ٤٣٠) مادة (ركب).

(٢) الكارة: هي من الثياب ما يجمع ويشدّ، وهي مقدار أو معلوم من الطعام يحمله الرجل على ظهره. يُراجع: الإفصاح في فقه اللغة (٢/ ٧٢٢).

(٣) يُراجع: المنتظم (٨/ ٢٥٧، ٢٥٨). ويُراجع كذلك: وفيات الأعيان (٥/ ٢٣٠) ترجمة المستنصر، والبداية والنهاية (١٢/ ١٠٧)، واتعاظ الحنفا (٢/ ٢٧٩، ٢٩٦ ـ ٢٩٩).

المبحث الثالث
بعض الشبه التي عرضت للقائلين بهذه البدعة والجواب عنها

لما أحدثت بدعة الاحتفال بالمولد النبوي في عهد العبيديين ، وفشت وانتشرت بين الناس لوجود الفراغ الروحي والبدني معاً، وترك المسلمون الجهاد وتأصَّلت هذه البدعة في النفوس، وأصبحت جزءاً من عقيدة كثير من أهل الجهل، لم يجد بعض أهل العلم كالسيوطي[١] ـ رحمه الله ـ بُدّاً من محاولة تبريرها بالبحث عن شبه يمكن أن يُستشهد بها على جواز بدعة المولد هذه، وذلك إرضاء للعامة والخاصة أيضاً من جهة، وتبريراً لرضى العلماء بها، وسكوتهم عن إنكارها لخوفهم من الحكام والعوام من جهة أخرى.

ومن هذه الشُّبَه:

١ ـ الشبهة الأولى:

قال السيوطي ـ رحمه الله ـ : (وقد استخرج له ـ أي المولد ـ إمام الحفاظ أبو الفضل أحمد بن حجر[٢] ـ العسقلاني ـ أصلاً من السنة ، واستخرجت له أنا أصلاً ثانياً . . . فقد سُئلَ شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل أحمد بن حجر ـ العسقلاني ـ عن عمل المولد ، فأجاب بما نصه :

(أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن ، وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا . قال: وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو: ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون، ونجَّى موسى، فنحن نصومه شكراً لله تعالى[٣]، فيُستفاد منه فعل الشكر لله على ما منَّ به في يوم معين من إسداء

---

(١) تقدمت ترجمته ص (١٤٨) من هذا الكتاب.

(٢) تقدمت ترجمته ص (٢١) من هذا الكتاب.

(٣) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (٤/ ٢٤٤) كتاب الصوم، حديث رقم (٢٠٠٤). ورواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٩٦) كتاب الصيام، حديث رقم (١١٣٠) (١٢٨). وفيه: «**فصامه موسى شكراً لله**» بدلاً من: «**فنحن نصومه شكراً لله تعالى**».

نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة ـ ﷺ ـ في ذلك اليوم.

وعلىٰ هذا، فينبغي أن يُتحرىٰ اليوم بعينه حتىٰ يطابق قصة موسىٰ ـ عليه السلام ـ في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، بل توسَّع قومٌ فنقلوه إلىٰ يوم من السنة وفيه ما فيه، فهذا ما يتعلق بأصل عمله. . .). ا. هـ[١].

الجواب عن هذه الشبهة: من وجوهٍ:

الوجه الأول:

أن ابن حجر[٢] ـ رحمه الله ـ صرح في بداية جوابه أن أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح، من القرون الثلاثة، وهذا كافٍ في ذمِّ الاحتفال بالمولد؛ إذ لو كان خيراً لسبق إليه الصحابة والتابعون، وأئمة العلم والهدىٰ من بعدهم.

الوجه الثاني:

أن تخريج ابن حجر في فتواه عمل المولد علىٰ حديث صوم عاشوراء، لا يمكن الجمع بينه وبين جزمه أول تلك الفتوىٰ بأن ذلك العمل بدعة لم تنقل عن أحدٍ من السلف الصالح من القرون الثلاثة، فإن عدم عمل السلف الصالح بالنصِّ علىٰ الوجه الذي يفهمه منه من بعدهم، يمنع اعتبار ذلك الفهم صحيحاً؛ إذ لو كان صحيحاً لم يعزب عن فهم السلف الصالح، ويفهمه من بعدهم.

كما يمنع اعتبار ذلك النص دليلاً عليه؛ إذ لو كان دليلاً عليه لعمل به السلف الصالح، فاستنباط ابن حجر الاحتفال بالمولد النبوي من حديث صوم يوم عاشوراء، مخالف لما أجمع عليه السلف، من ناحية فهمه، ومن ناحية العمل به، وما خالف إجماعهم فهو خطأ؛ لأنَّهم لا يجتمعون إلا علىٰ هدىٰ[٣].

وقد بسط الشاطبي[٤] ـ رحمه الله ـ الكلام علىٰ تقرير هذه القاعدة في كتابه

---

(١) يُراجع: الحاوي (١/ ١٩٦) كتاب رقم (٢٤).

(٢) تقدمت ترجمته ص (٢١) من هذا الكتاب.

(٣) القول الفصل ص (٧٨).

(٤) تقدمت ترجمته ص (٢١) من هذا الكتاب.

الموافقات في أصول الأحكام(١).

الوجه الثالث:

أن تخريج بدعة المولد على صيام يوم عاشوراء، إنَّما هو من التكلُّف المردود؛ لأنَّ العبادات مبناها على الشرع والاتباع، لا على الرأي والاستحسان والابتداع(٢).

الوجه الرابع:

أن صيام يوم عاشوراء قد فعله النبي ﷺ، ورغَّبَ فيه، بخلاف الاحتفال بمولده، واتخاذه عيداً، فإنَّ النبي ﷺ لم يفعله، ولم يرغِّب فيه، ولو كان في ذلك شيء من الفضل لبين ذلك لأمته لأنَّهُ ﷺ لا خير إلا وقد دلَّهم عليه، ورغَّبهم فيه، ولا شر إلا وقد نهاهم عنه وحذَّرهم منه، والبدع من الشر الذي نهاهم عنه، وحذَّرهم منه.

قال ﷺ: **«إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**(٣).

وقال ﷺ: **«أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»**(٤) (٥).

٢ ـ الشبهة الثانية:

قال السيوطيّ(٦) ـ رحمه الله ـ بعد ذكره تخريج ابن حجر(٧) عمل المولد على صوم يوم عاشوراء: وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر وهو: ما أخرجه البيهقي(٨)

---

(١) يُراجع: الموافقات (٣/ ٤١ ـ ٤٤)، المسألة الثانية عشرة من كتاب: الأدلة الشرعية.

(٢) يُراجع: الرد القوي ص (٣٢).

(٣) تقدم تخريجه ص (٢٤) من هذا الكتاب.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣١٠). ورواه مسلم في صحيحه (٢/ ٥٩٢) كتاب الجمعة، حديث (٨٦٧). ورواه النسائي في سننه (٣/ ١٨٨، ١٨٩) كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة. ورواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٧) المقدمة، حديث (٤٥).

(٥) يُراجع: الردّ القوي ص (٣٢).

(٦) تقدمت ترجمته ص (١٤٨) من هذا الكتاب.

(٧) تقدمت ترجمته ص (٢١) من هذا الكتاب.

(٨) هو: الإمام الحافظ شيخ خراسان، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، ولد سنة ٣٨٤هـ، كتب الحديث وحفظه من صباه، وتفقه وبرع، وارتحل إلى العراق والجبال والحجاز، ثم صنَّف كتباً عدة، منها: الأسماء والصفات، والسنن الكبرى، والسنن والآثار، وشُعب=

عن أنس[١] ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ عقَّ عن نفسه بعد النبوة[٢]. مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب[٣] عقّ عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيُحمل ذلك على أن الذي فعله النبي ﷺ إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشريعاً لأمته، كما كان يصلي على نفسه، لذلك فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع، وإطعام الطعام، ونحو ذلك من وجوه القربات، وإظهار المسرات[٤].

الجواب عن هذه الشبهة:

أن هذا الحديث لم يثبت عند أهل العلم:

أ ـ فقد قال عبد الرزاق[٥] في مصنفه: . . . . . .

= الإيمان، ودلائل النبوة. وانتقل إلى نيسابور سنة ٤٤١هـ، وحدَّث بكتبه. تُوفي ـ رحمه الله ـ سنة ٤٥٨هـ، والبيهقي نسبة إلى بيهق وهي من أعمال نيسابور، على يومين منها.

تُراجع ترجمته في: تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٣٢ ـ ١١٣٥) ترجمة رقم (١٠١٤)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣ ـ ١٦٩).

(١) تقدمت ترجمته ص (١٣٠) من هذا الكتاب.

(٢) رواه البيهقي في سننه (٩/ ٣٠٠) كتاب الضحايا، وقال: قال عبد الرزاق: إنَّما تركوا عبد الله بن محرر لحال هذا الحديث، وروي من وجه آخر عن أنس وليس بشيء.

(٣) هو: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث، زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب، وجدُّ رسول الله ﷺ. قيل: اسمه شيبة، وعبد المطلب لقب غلب عليه، ولد بالمدينة ونشأ بها، كان عاقلاً فصيح اللسان، أحبه قومه فرفعوا من شأنه، فكانت له السقاية والرفادة، وهو الذي حفر زمزم بعد أن درس رسمها، بعد طم جرهم لها، واستخرج ما فيها من الكنوز المدفونة، وتوفي على ما كان عليه من دين الجاهلية، وتوفي سنة تسع من عام الفيل، وللنبي ﷺ يومئذ ثماني سنين، وقيل: ثلاث سنين.

تُراجع ترجمته في: تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٦ ـ ٢٥١)، وعيون الأثر (١/ ٥١)، والبداية و النهاية (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٧٣، ٣٠٤)

(٤) يُراجع: الحاوي (١/ ١٩٦) كتاب رقم (٢٤).

(٥) هو: الإمام عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني، أحد الأعلام الثقات، ولد سنة ١٢٦هـ، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، وصنَّف الجامع الكبير (مصنف عبد الرزاق)، وهو خزانة علم، وكان يحفظ نحواً من سبع عشرة ألف حديث. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢١١هـ.

تُراجع ترجمته في: ميزان الاعتدال (٢/ ٦٠٩ ـ ٦١٤) ترجمة رقم (٥٠٤٤)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٣١٠ ـ ٣١٥) ترجمة رقم (٦٠٨).

أنبأنا عبد الله بن محرر[١] عن قتادة[٢] عن أنس[٣] أن النبي ﷺ عقَّ عن نفسه بعد النبوة[٤].

قال ابن قيم الجوزية[٥] بعد إيراده هذا الحديث وعزوه إلى عبد الرزاق في مصنفه قال عبد الرزاق: (إنَّما تركوا ابن محرر لهذا الحديث)[٦].

ب ـ وذكر الحافظ ابن حجر[٧] في فتح الباري: أن هذا الحديث لا يثبت، ونسبه للبزار[٨]، وقال: قال البزار: تفرَّد به عبد الله ـ بن محرر ـ وهو ضعيف[٩].

---

(١) هو: عبد الله بن المحرر الجزري، قال أحمد: ترك الناس حديثه، وقال الجوزجاني: هالك، وقال الدارقطني وجماعة: متروك. وقال ابن حبان: كان من خيار عباد الله إلا أنه كان يكذب ولا يعلم، ويقلب الأخبار ولا يفهم. وقد ولي الرقة للمنصور، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال الذهبي: ومن بلاياه روى عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ عقَّ عن نفسه بعدما بُعِثَ.
تُراجع ترجمته في: الضعفاء الكبير (٢/ ٣٠٩، ٣١٠) ترجمة رقم (٨٩٢)، وميزان الاعتدال (٢/ ٥٠٠) ترجمة رقم (٤٥٩١).

(٢) هو: قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، مفسِّر حافظ ضرير ولد أكمه، قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وقال هو عن نفسه: ما سمعت أذناي قط شيئًا إلا وعاه قلبي، وكان مع علمه بالحديث، رأساً في العربية، ومفردات اللغة، وأيام العرب والنسب، وقد يدلس في الحديث. مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨هـ وله ٥٧ سنة.
تُراجع ترجمته في: تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٢ ـ ١٢٤) ترجمة رقم (١٠٧)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٣٥١ ـ ٣٥٦) ترجمة رقم (٦٣٥).

(٣) تقدمت ترجمته ص (١٣٠) من هذا الكتاب.

(٤) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٣٢٩) حديث رقم (٧٩٦٠).

(٥) تقدمت ترجمته ص (٩٨) من هذا الكتاب.

(٦) يُراجع: تحفة المودود ص (٨٨). وذكره ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٥٩٥).

(٧) تقدمت ترجمته ص (٢١) من هذا الكتاب.

(٨) هو: الحافظ العلاَّمة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، صاحب المسند الكبير، حدَّث في آخر عمره في أصبهان والشام والعراق. ذكره الدارقطني فأثنى عليه وقال: ثقة يخطئ، ويتكل على حفظه. توفي بالرملة سنة ٢٩٢هـ.
تُراجع ترجمته في: تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٥٣، ٦٥٤) ترجمة رقم (٦٧٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٠٩).

(٩) يُراجع: فتح الباري (٩/ ٥٩٥).

جـ ـ قال النووي[١] في المجموع شرح المهذب: وأما الحديث الذي ذكره في عقّ النبي ﷺ عن نفسه فرواه البيهقي[٢] بإسناده عن عبد الله بن محرر[٣] ـ بالحاء المهملة، والراء المكررة ـ، عن قتادة[٤]، عن أنس[٥] أنَّ النبي ﷺ عقَّ عن نفسه بعد النبوة. وهذا حديث باطل، وعبد الله بن محرر ضعيف متفق على ضعفه، قال الحفاظ: متروك. والله أعلم[٦].

د ـ قال الذهبي[٧] في ميزان الاعتدال ـ بعد أن ذكر ترجمة عبد الله بن المحرر[٨]، وكلام الحفاظ فيه، وأنه متروك، وليس بثقة ـ ومن بلاياه ـ عبد الله بن المحرر ـ روى عن قتادة[٩] عن أنس[١٠] أن النبي ﷺ عقَّ عن نفسه بعدما بُعِث[١١].

٣ ـ الشبهة الثالثة:

قال السيوطي[١٢]: ثم رأيت إمام القرَّاء الحافظ شمس الدين ابن الجزري[١٣] قال

---

(١) تقدمت ترجمته ص (٢٠) من هذا الكتاب.
(٢) تقدمت ترجمته ص (١٦١) من هذا الكتاب.
(٣) تقدمت ترجمته ص (١٦٣) من هذا الكتاب.
(٤) تقدمت ترجمته ص (١٦٣) من هذا الكتاب.
(٥) تقدمت ترجمته ص (١٣٠) من هذا الكتاب.
(٦) يُراجع: المجموع شرح المهذب (٨/ ٤٣١، ٤٣٢).
(٧) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل، الفارقي، ثم الدمشقي، الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي. ولد سنة ٦٧٣هـ. رحل إلى القاهرة وأخذ عن علمائها، ومهر في فن الحديث، والتاريخ، وأخبار المحدثين، وألَّف تصانيف عدَّة، منها: تاريخ الإسلام الكبير، وسير أعلام النبلاء، وتذكرة الحفاظ، والعِبَر، وتذهيب تهذيب الكمال، وميزان الاعتدال، وطبقات القراء، ومختصر سنن البيهقي، وتلخيص المستدرك، ومختصر تاريخ ابن عساكر، والكبائر. وكفَّ بصره سنة ٧٤١هـ، وتوفي سنة ٧٤٨هـ.
تُراجع ترجمته في: فوات الوفيات (٣/ ٣١٥ ـ ٣١٧) ترجمة رقم (٤٣٦)، والدرر الكامنة (٣/ ٣٣٦ ـ ٣٣٨) ترجمة رقم (٨٩٤)، والأعلام (٥/ ٣٢٦).
(٨) تقدمت ترجمته ص (١٦٣) من هذا الكتاب.
(٩) تقدمت ترجمته ص (١٦٣) من هذا الكتاب.
(١٠) تقدمت ترجمته ص (١٣٠) من هذا الكتاب.
(١١) يُراجع: ميزان الاعتدال (٢/ ٥٠٠) ترجمة رقم (٤٥٩١).
(١٢) تقدمت ترجمته ص (١٤٨) من هذا الكتاب.
(١٣) هو: محمد بن محمد بن محمد بن علي الدمشقي، المقرئ، الشافعي، المعروف بابن الجزري=

في كتابه المسمىٰ (عرف التعريف بالمولد الشريف) ما نصه:

(قد رؤي أبو لهب[١] بعد موته في النوم، فقيل له ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين، وأمصّ بين أصبعي ماء بقدر هذا ـ وأشار لرأس أصبعه ـ وأن ذلك بإعتاقي لثويبة[٢]، عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبإرضاعها له. فإذا كان أبو لهب الكافر، الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ به، فما حال المسلم الموحد من أمة النبي ﷺ يسر بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته ﷺ لعمري إنَّما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم). ا. هـ[٣].

= نسبة إلىٰ جزيرة ابن عمر قرب الموصل، ولد سنة ٧٥١هـ بدمشق، ونشأ بها، وأخذ القراءات عن جماعة، ثم رحل إلىٰ القاهرة والإسكندرية وأخذ عن علمائها، واشتد شغفه بالقراءات حتىٰ جمع الثلاث عشرة وتصدىٰ للإقراء في جامع بني أمية، ثم دخل بلاد الروم سنة ٧٩٨هـ وانتفع به أهلها. ثم رحل مع تيمورلنك إلىٰ سمرقند سنة ٨٠٥هـ فنشر العلم فيها، ثم تولىٰ قضاء شيراز، ثم خرج إلىٰ البصرة، ثم إلىٰ مكة، ثم إلىٰ اليمن. وله مصنفات كثيرة، منها: النشر في القراءات العشر، وطبقات القرّاء، والحصن الحصين، والمسند الأحمد، والتوضيح في شرح المصابيح، والبداية في علوم الرواية. توفي بشيراز سنة ٨٣٣هـ ودفن بمدرسته التي بناها.
تُراجع ترجمته في: شذرات الذهب (٧/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦)، والبدر الطالع (٢/ ٩٥٧ ـ ٩٥٩) ترجمة رقم (٥١٣)، والأعلام (٧/ ٤٥).

(١) هو: عبد العزىٰ بن عبد المطلب بن هاشم، عم رسول الله ﷺ وأشد الناس عداوة له وللإسلام والمسلمين، كان غنياً عتياً، كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فآذاه وآذىٰ المسلمين وقاتلهم، ودعا النبي ﷺ الناس يوماً فأنذرهم، فقال له أبو لهب: تبا لك! ألهذا جمعتنا! فأنزل الله تعالىٰ قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [سورة المسد كلها]. ولقّب بأبي لهب لإشراق وجهه، وكان تقدمةً من الله تعالىٰ لما صار إليه من اللهب ـ نار جهنم ـ، توفي سنة اثنتين للهجرة.
تُراجع ترجمته في: الروض الأنف (١/ ٤٣٩)، والبداية والنهاية (٣/ ٤٥، ٤٦، ٣٨١)، والأعلام (٤/ ١٢).

(٢) هي: مولاة لأبي لهب، وهي أول من أرضعت النبي ﷺ وكان ﷺ يصلها وهو بمكة، وكانت خديجة ـ رضي الله عنها ـ تكرمها، وهي يومئذ مملوكة وطلبت إلىٰ أبي لهب أن تبتاعها منه لتعتقها، فأبىٰ أبو لهب، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة، أعتقها أبو لهب، وكان ﷺ يبعث إليها بصلة وكسوة، اختُلف في إسلامها، توفيت سنة ٧ هـ.
تُراجع ترجمتها في: الطبقات (١/ ١٠٨، ١٠٩)، والإصابة (٤/ ٢٥٠) ترجمة رقم (٢١٣).

(٣) يُراجع: الحاوي (١/ ١٩٦، ١٩٧).

الرد على هذه الشبهة:

أن هذا الخبر رواه البخاري(١) مرسلاً في باب: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾(٢)، و«**يُحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»(٣) من صحيحه، بعد أن ذكر الحديث بسنده عن عروة بن الزبير(٤)، أن زينب بنت أبي سلمة(٥) أخبرته أن أم حبيبة بنت أبي سفيان(٦) أخبرتها أنها قالت: يا رسول الله! انكح أختي بنت أبي سفيان(٧)، فقال: «**أو تحبين**

---

(١) تقدمت ترجمته ص (٤١) من هذا الكتاب.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (٥/ ٢٥٣) كتاب الشهادات، حديث رقم (٢٦٤٥)، واللفظ له. ورواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٧١) كتاب الرضاع، حديث رقم (١٤٤٧).

(٤) هو: عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، أحد كبار فقهاء المدينة السبعة، كان عالماً صالحاً، فقيهاً فاضلاً، وأصابته الأكلة في رجله بالشام وهو عند الوليد بن عبد الملك فقطعت رجله فلم يتحرك، وعاش بعد ذلك ثماني سنين، واحتفر بالمدينة بئراً يُقال لها بئر «عروة»، وليس بالمدينة أعذب منها. توفي سنة ٩٣هـ، وقيل: ٩٤هـ في ضيعة له قرب المدينة، ودُفِنَ هناك، وهي سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها.
تُراجع ترجمته في: الطبقات (٥/ ١٧٨ ـ ١٨٢)، والمعارف لابن قتيبة ص (٢٢٢)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٨) ترجمة رقم (٤١٦).

(٥) هي: زينب بنت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومية، ربيبة رسول الله ﷺ وأمها أم سلمة بنت أبي أمية زوج رسول الله ﷺ، تزوج الرسول ﷺ أمها وهي ترضعها، روت عن النبي ﷺ وأزواجه، وكانت من أفقه نساء أهل زمانها وقتل ولداها من عبد الله بن زمعة الأسدي يوم الحرة، وكان ذلك في حياتها.
تُراجع ترجمتها في: الاستيعاب (٤/ ٣١٢، ٣١٣)، والإصابة (٤/ ٣١٠، ٣١١).

(٦) هي: رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشية الأموية، كُنِّيت بابنتها حبيبة بنت عبيد الله بن جحش، زوج النبي ﷺ إحدى أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ، كانت من السابقين إلى الإسلام، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله، فتنصر عبيد الله ومات بالحبشة نصرانياً، فولدت هناك حبيبة، وبقيت أم حبيبة مسلمة بأرض الحبشة، فأرسل رسول الله ﷺ يخطبها إلى النجاشي، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص، وزوَّجها للنبي ﷺ. تُوفيت ـ رضي الله عنها ـ سنة ٤٤ هـ.
تُراجع ترجمتها في: أُسد الغابة (٦/ ٣١٥، ٣١٦) ترجمة رقم (٧٤٠١)، والإصابة (٤/ ٢٩٨ ـ ٣٠٠) ترجمة رقم (٤٣٤).

(٧) هي: عزة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشية الأموية، أخت أم حبيبة زوج النبي=

ذلك؟» . فقلت: نعم، لست لك بِمُخْلِيَة، وأحب من شاركني في خير أختي. فقال النبي ﷺ: **«إنَّ ذلك لا يحلّ لي»**. قلت: فإنَّا نُحدَّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة(١). قال: **«بنت أم سلمة؟(٢)»**. قلت: نعم. فقال: **«لو أنها لم تكن ربيبتي(٣) في حجري ما حلَّت لي، إنَّها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة(٤) ثويبة،(٥)، فلا تعرضن**

= ﷺ ومعاوية، وهي التي عرضتها أختها أم حبيبة على النبي ﷺ أن يتزوجها، فقال: إنها لا تحل لي، وقيل: اسمها درة، وقيل: حسنة.
تُراجع ترجمتها في: أُسد الغابة (٦/ ٧١، ١٠٢، ١٩٦) التراجم رقم: (٦٨٥١) (حمنه)، ورقم (٦٨٩٥) (دره)، ورقم (٧١٠١) (عزه)، والإصابة (٤/ ٢٦٧، ٢٩٠، ٣٥٢) التراجم رقم: ٣٠٤ (حمنه) (٣٩٥) (دره)، (٧٢٠) (عزه).

(١) هي: درة بنت أبي سلمة بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومية ربيبة ـ رسول الله ﷺ أمها أم سلمة زوج النبي ﷺ.
تُراجع ترجمتها في: أُسد الغابة (٦/ ١٠٢، ١٠٣) ترجمة رقم (٦٨٩٦)، والإصابة (٤/ ٢٩٠) ترجمة رقم (٣٩٦).

(٢) هي: أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية أم المؤمنين، اسمها هند، واسم أبيها حذيفة، ويلقب: بزاد الراكب لجوده. كانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة فمات عنها، فتزوجها النبي ﷺ سنة أربع للهجرة، وقيل: ثلاث. أسلمت قديماً هي وزوجها، وهاجر إلى الحبشة فولدت له سلمة، ثم هاجرت إلى المدينة مع زوجها فولدت له عمرو ودرة وزينب، وكانت جميلة عاقلة ذات رأي صائب. تُوفيت سنة ٥٩هـ وهي من آخر أمهات المؤمنين موتاً.
تُراجع ترجمتها في: أُسد الغابة (٦/ ٣٤٠ ـ ٣٤٣) ترجمة رقم (٧٤٦٤)، والإصابة (٤/ ٤٣٩ ـ ٤٤١) ترجمة رقم (١٣٠٩).

(٣) الربيبة: بنت الزوجة من غير زوجها الذي معها. يُراجع: النهاية (٢/ ١٨٠) باب الراء مع الباء.

(٤) هو: عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم بعد عشرة أنفس، وكان أخاً للنبي ﷺ من الرضاعة، وابن عمة النبي ﷺ برة بنت عبد المطلب، وهو مشهور بكنيته، وهو أول من هاجر إلى الحبشة، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى غزوة العشيرة في السنة الثانية من الهجرة، تزوج أم سلمة وصارت من بعده إلى النبي ﷺ. شهد بدراً وأحداً، وجرح في أحد، ثم بعثه النبي ﷺ على سرية إلى بني أسد في صفر سنة أربع، ثم رجع فانتقض جرحه فمات في جمادى الآخرة. وقال ابن عبد البر: في سنة ثلاث، ورجح ابن حجر القول الأول وقال: وبهذا قال الجمهور.
تُراجع ترجمته في: الاستيعاب (٢/ ٣٣٠، ٣٣١)، والإصابة (٢/ ٣٢٦، ٣٢٧) ترجمة رقم (٤٧٨٣).

(٥) تقدمت ترجمتها ص (١٦٥) من هذا الكتاب.

عليٌّ بناتكن ولا أخواتكنّ»(١).

قال عروة(٢): وثويبة مولاة لأبي لهب(٣)، وكان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة(٤)، قال له: ماذا لقيت؟ قال: أبو لهب: لم ألق بعدكم، غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة(٥).

قال الحافظ ابن حجر(٦): وفي الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة، لكنه مخالف لظاهر القرآن، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾(٧).

وأُجيب عن هذا من وجوه، منها:

أ ـ أن الخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدَّثَهُ به ـ كما تقدَّم ـ.

ب ـ وعلى تقدير أن يكون موصولاً، فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه، ولعلَّ الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد فلا يحتجّ به(٨).

جـ ـ أن ما ورد في مرسل عروة(٩) هذا من إعتاق أبي لهب(١٠) ثويبة(١١) كان قبل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (٩/ ١٤٠) كتاب النكاح، حديث رقم (٥١٠١)، واللفظ له. ورواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٧٢) كتاب الرضاع، حديث رقم (١٤٤٩).

(٢) تقدمت ترجمته ص (١٦٦) من هذا الكتاب.

(٣) تقدمت ترجمته ص (١٦٥) من هذا الكتاب.

(٤) الحيية ـ بكسر الحاء المهملة وفتح الباء ـ، أي: بشر حال، والحيية والحوبة: الهم والحزن. يُراجع: النهاية (١/ ٤٦٦) باب الحاء مع الياء. وقال ابن منظور: أي بحال سوء، وقيل: إذا بات بشدة، وحال سيئة لا يقال إلا في الشر. يُراجع: لسان العرب (١/ ٣٣٩) مادة (حوب).

(٥) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (٩/ ١٤٠) كتاب النكاح، حديث رقم (٥١٠١).

(٦) تقدمت ترجمته ص (٢١) من هذا الكتاب.

(٧) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٨) يُراجع: فتح الباري (٩/ ١٤٥).

(٩) تقدمت ترجمته ص (١٦٦) من هذا الكتاب.

(١٠) تقدمت ترجمته ص (١٦٥) من هذا الكتاب.

(١١) تقدمت ترجمتها ص (١٦٥) من هذا الكتاب.

إرضاعها النبي ﷺ، وما ذكره ابن الجزري[١] من أنه أعتقها عندما بشَّرته بولادة النبي ﷺ[٢]: يخالف ما عند أهل السير من أن إعتاق أبي لهب إياها كان بعد ذلك الإرضاع بدهر طويل.

قال ابن سعد[٣]: (وأخبرنا محمد بن عمر ـ الواقدي[٤] ـ عن غير واحد من أهل العلم، وقالوا: وكان رسول الله ﷺ يصلها وهو بمكة، وكانت خديجة[٥] تكرمها،

---

(١) تقدمت ترجمته ص (١٦٤) من هذا الكتاب.

(٢) وهذا وجه الاستشهاد عند القائلين ببدعة الاحتفال بالمولد النبوي، وأن ما حصل لأبي لهب كان بسبب فرحه بولادة النبي ﷺ وإعتاقه لثويبة عندما بشرته بولادة النبي ﷺ بسبب هذا الفرح. وهذا باطل حقيقة ومعنى.

(٣) هو: محمد بن سعد بن منيع الزهري، أبو عبد الله البصري، كاتب الواقدي، كان كثير العلم، غزير الحديث، كثير الكتب، كَتَبَ الحديث والفقه وغيرهما، وقال الحافظ أبو بكر الخطيب في «تاريخ بغداد»: ومحمد بن سعد عندنا من أهل العدالة، وحديثه يدلُّ على صدقه، فإنه يتحرى في كثير من رواياته. وهو من موالي الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب. توفي سنة ٢٣٠هـ ودفن في مقبرة باب الشام، وعمره ٦٢ سنة.
تُراجع ترجمته في: تاريخ بغداد (٥/ ٣٢١، ٣٢٢)، ووفيات الأعيان (٤/ ٣٥١، ٣٥٢) ترجمة رقم (٦٤٥)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٤٢٥) ترجمة رقم (٤٣١).

(٤) هو: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، مولاهم، أبو عبد الله المدني، الحافظ البحر، متفق على ترك حديثه، وهو من أوعية العلم لكنه لا يتقن الحديث، وهو رأس في المغازي والسير، ويروي عن كل ضرب. وُلِدَ سنة ١٣٠هـ، وكان له رئاسة وصورة عظيمة، ولي قضاء بغداد، وتوفي سنة ٢٠٧هـ.
تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (٤/ ٣٤٨ ـ ٣٥١) ترجمة رقم (٦٤٤)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٨) ترجمة رقم (٣٣٤).

(٥) هي: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ أول امرأة تزوجها، وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة، وكانت تدعى في الجاهلية «الطاهرة»، تزوجها النبي ﷺ وعمره حينئذ خمس وعشرون سنة، وعمرها حينئذ أربعين سنة، وأقامت معه أربعاً وعشرين سنة، وقبل زواجه بها خرج تاجراً في مالها إلى الشام، وبعد زواجها منه ﷺ ولدت له أولاده كلهم إلا إبراهيم، فأما الذكور فماتوا قبل الإسلام، وأما بناته فأدركن الإسلام، وآمنَّ به، واتبعنه، وهاجرن معه. وهي من خير نساء العالمين الأربع: مريم، وآسية (زوجة فرعون)، وفاطمة، وخديجة. تُوفيت ـ رضي الله عنه عنها ـ قبل الهجرة بثلاث سنين، وعمرها خمس وستين سنة، ودفنت في الحجون.
تُراجع ترجمتها في: الاستيعاب (٤/ ٢٧١ ـ ٢٨١)، وأُسد الغابة (٦/ ٧٨ ـ ٨٥) ترجمة رقم (٦٨٦٧).

وهي يومئذٍ مملوكة، وطلبت إلى أبي لهب أن تبتاعها منه لتعتقها، فأبى أبو لهب، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة(١)، أعتقها أبو لهب، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بصلة وكسوة، حتى جاءه خبرها أنها قد تُوفيت سنة سبع مرجعة من خيبر(٢))(٣).

وقالَ الحافظ ابن عبد البر(٤) في ترجمة النبي ﷺ بعد أن ذكر إرضاع ثويبة للرسول ﷺ: (وأعتقها أبو لهب بعدما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة)(٥) ا. هـ.

وقال ابن الجوزيُّ(٦): (وكانت ثويبة(٧) تدخل على رسول الله ﷺ بعدما تزوج خديجة(٨) فيكرمها رسول الله ﷺ وتكرمها خديجة، وهي يومئذٍ أمَة، ثم أعتقها أبو لهب)(٩) ا. هـ.

د ـ أنه لم يثبت من طريق صحيح أن أبا لهب(١٠) فرح بولادة النبي ﷺ ولا أن ثويبة بشرته بولادته، ولا أنه أعتق ثويبة من أجل البشارة بولادة النبي ﷺ وتقدم ذلك ـ فكل هذا لم يثبت، ومن ادَّعى ثبوت شيء من ذلك، فعليه إقامة الدليل على ما ادَّعاه، ولن يجد إلى الدليل الصحيح سبيلاً(١١).

---

(١) تقدَّم الكلام عنها ص (٩٤) من هذا الكتاب.
(٢) تقدَّم الكلام عنها ص (٢٧) من هذا الكتاب.
(٣) يُراجع: الطبقات (١/ ١٠٨، ١٠٩).
(٤) هو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، أبو عُمر، فقيه حافظ، مكثر، عالم بالقراءات، وبالخلاف في الفقه، وبعلوم الحديث والرجال، قديم السماع، كثير الشيوخ، على أنه لم يخرج من الأندلس، وكان مالكي المذهب يميل في الفقه إلى أقوال الشافعي، ولد سنة ٣٦٨هـ. له مصنفات كثيرة، منها: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستيعاب، وجامع بيان العلم وفضله، والدرر في اختصار المغازي والسير، والكافي في الفقه، توفي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ وعمره ٩٥ سنة.
تُراجع ترجمته في: ترتيب المدارك (٢/ ٨٠٨ ـ ٨١٠)، وبُغية الملتمس ص (٤٨٩ ـ ٤٩١) ترجمة رقم (١٤٤٣)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣ ـ ١٦٣).
(٥) يُراجع: الاستيعاب (١/ ١٢).
(٦) تقدمت ترجمته ص (١٤٢) من هذا الكتاب.
(٧) تقدمت ترجمتها ص (١٦٥) من هذا الكتاب.
(٨) تقدمت ترجمتها ص (١٦٩) من هذا الكتاب.
(٩) يُراجع: الوفا بأحوال المصطفى (١/ ١٧٨، ١٧٩).
(١٠) تقدمت ترجمته ص (١٦٥) من هذا الكتاب.
(١١) يُراجع: الرد القوي ص (٥٧).

الشبهة الرابعة:

ومن الشبه التي استند إليها القائلون بالاحتفال بالمولد النبوي: ما رواه مسلم(١) في صحيحه من حديث أبي قتادة(٢) الذي جاء فيه: وسئل عن صوم الاثنين؟. قال: «**ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت**» أو «**أنزل عليه فيه**»(٣). فقالوا: هذا دليل على أنه ﷺ كان يعظم يوم مولده، وكان يعبر عن هذا التعظيم بالصوم، وهذا في معنى الاحتفال به(٤).

الجواب عن هذه الشبهة:

أ ـ أن الرسول ﷺ لم يصم يوم ولادته، وهو اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ـ إن صح أنه كذلك ـ، وإنَّما صام يوم الاثنين الذي يتكرر مجيئه في كل شهر أربع مرات، وبناء على هذا فتخصيص يوم الثاني عشر من ربيع الأول، بعمل ما دون يوم الاثنين من كل أسبوع، يعتبر استدراكاً على الشارع، وتصحيحاً لعمله، وما أقبح هذا إن كان!!! ـ والعياذ بالله ـ(٥).

ب ـ أن الرسول ﷺ لم يخص يوم الاثنين بالصيام، بل كان يتحرى صيام الاثنين والخميس(٦)، وقال ﷺ: «**تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**»(٧).

---

(١) تقدمت ترجمته ص (١١٣) من هذا الكتاب.

(٢) تقدمت ترجمته ص (٩٦) من هذا الكتاب.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٩٧). ورواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨١٩، ٨٢٠) كتاب الصيام، حديث رقم (١١٦٢) (١٩٧، ١٩٨). ورواه ابن خزيمة في صحيحة (٣/ ٢٩٨، ٢٩٩) حديث رقم (٢١١٧).

(٤) يُراجع: المدخل لابن الحاج (٢/ ٢، ٣)، وحوار مع المالكي ص (٤٧)، والرد القوي ص (٦١).

(٥) يُراجع: الإنصاف للجزائري ص (٤٤).

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٨٠). ورواه الترمذي في سننه (٢/ ١٢٤) أبواب الصوم، حديث رقم (٧٤٢)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه. ورواه النسائي في سننه (٤/ ١٥٢، ١٥٣، ٢٠٢، ٢٠٣) كتاب الصيام، باب (٣٦)، وباب (٧٠). ورواه ابن ماجه في سننه (١/ ٥٥٣) كتاب الصيام، حديث رقم (١٧٣٩).

(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٠١). ورواه أبو داود في سننه (٢/ ٨١٤) كتاب الصوم، حديث (٢٤٣٦). ورواه الترمذي في سننه (٢/ ١٢٤)، أبواب الصوم، حديث رقم (٧٤٤)، وقال: حديث حسن غريب. ورواه النسائي في سننه (٤/ ٢٠١، ٢٠٢) كتاب الصيام.

فالاستدلال بصوم يوم الاثنين على جواز الاحتفال ببدعة المولد في غاية التكلف والبعد(١).

جـ ـ إذا كان المراد من إقامة المولد هو شكر الله تعالى على نعمة ولادة الرسول ﷺ فيه، فإن المعقول والمنقول يحتم أن يكون الشكر من نوع ما شكر الرسول ﷺ ربه به، وهو الصوم وعليه فلنصم كما صام، غير أن أرباب الموالد لا يصومونه؛ لأنَّ الصيام فيه مقاومة لشهوات النفس بحرمانها من لذة الطعام والشراب، وهم يريدون ذلك ـ الطعام والشراب ـ فتعارض الغرضان، فآثارون ما يحبون على ما يحب الله، وهذا بعينه أعظم الزلل عند أهل البصيرة(٢).

د ـ أن الرسول ﷺ لم يضف إلى الصيام احتفالاً كاحتفال أرباب الموالد، من تجمعات ومدائح وأنغام وطعام وشراب، أفلا يكفي الأمة ما كفى نبيها ويسعها ما وسعه؟ وهل يقدر عاقل أن يقول: لا. وإذن فلمَ الافتيات على الشارع، والتقدم بالزيادة عليه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(٣).

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٤)، وقال ﷺ: **«إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**(٥).

وقال ﷺ: **«إنَّ الله حدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وترك أشياء في غير نسيان ولكن رحمة لكم فاقبلوها ولا تبحثوا عنها»**(٦).

---

(١) يُراجع: الرد القوي ص (٦٢).

(٢) يُراجع: الإنصاف ص (٤٤).

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١.

(٥) تقدم تخريجه ص (٢٤) من هذا الكتاب.

(٦) رواه البيهقي في سننه (١٠/ ١٢، ١٣) كتاب الضحايا. مرة موقوفاً، ومرة مرفوعاً. وذكره النووي في الأربعين وقال: (حديث حسن رواه الدارقطني وغيره. وقال ابن رجب: وله علَّتان: إحداهما: أن مكحولاً لم يصح له السماع عن أبي ثعلبة. والثانية: أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة الخشني) ا. هـ.
يُراجع: جامع العلوم والحكم ص (٢٤٢) الحديث رقم (٣٠).

٥ ـ الشبهة الخامسة:

ومن الشبه التي استند إليها القائلون بالاحتفال بالمولد النبوي قولهم: إن الفرح به ﷺ مطلوب بأمر القرآن، من قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾(١). فالله أمرنا أن نفرح بالرحمة والنبي ﷺ أعظم الرحمة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٢)(٣).

الجواب عن هذه الشبهة:

أ ـ أن الاستدلال بهذه الآية علىٰ مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي، من قبيل حمل كلام الله تعالىٰ علىٰ ما لم يحمله عليه السلف الصالح، والدعاء إلىٰ العمل به علىٰ غير الوجه الذي مضوا عليه، في العمل به، وهذا أمرٌ لا يليق؛ لما بيَّنه الشاطبي(٤) في كتابه (الأدلة الشرعية من الموافقات) وهو أن الوجه الذي لم يثبت عن السلف الصالح العمل بالنص عليه، لا يقبل ممن بعدهم دعوىٰ دلالة النص عليه. قال: إذ لو كان دليلاً عليه لم يعزب عن فهم الصحابة والتابعين ثم يفهمه هؤلاء، فعمل الأولين كيف كان مصادماً لمقتضىٰ هذا المفهوم، ومعارضاً له، ولو كان ترك العمل(٥)، فما عمل به المتأخرون من هذا القسم مخالفٌ لإجماع الأولين وكل من خالف الإجماع فهو مخطئ، وأمة محمد ﷺ لا تجتمع علىٰ ضلالة، فما كانوا عليه من فعل أو ترك فهو السنَّة والأمر المعتبر، وهو الهدىٰ، وليس ثم إلا صواب أو خطأ، فكل من خالف السلف الأولين فهو علىٰ خطأ، وهذا كاف... وكثيراً ما تجد أهل البدع والضلالة يستدلُّون بالكتاب والسنة يحملونها مذاهبهم، ويغبرون بمشتبهاتهما في وجوه العامة، ويظنون أنهم علىٰ شيء، ولذلك أمثلة كثيرة:

منها: استدلال التناسخية(٦) علىٰ صحة ما زعموا بقوله تعالىٰ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٣) يُراجع: القول الفصل ص (٣٢، ٣٣).

(٤) تقدمت ترجمته ص (٢١) من هذا الكتاب.

(٥) أي: ولو كان عملهم ترك العمل بمعنىٰ الكف عنه.

(٦) التناسخية: فرقة من الفرق الخارجة عن فرق الإسلام، وهم القائلون بتناسخ الأرواح في الأجساد، والانتقال من شخص إلىٰ شخص، وما يلقىٰ من الراحة والتعب فمرتب علىٰ ما أسلفه قبل وهو في بدن آخر، جزاء علىٰ ذلك، وأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلىٰ كلب، =

شَاءَ رَكَّبَكَ﴾(١).

واستدلال كل من اخترع بدعة، أو استحسن محدثة لم تكن في السلف الصالح، بأن السلف اخترعوا أشياء لم تكن في زمان رسول الله ﷺ: ككتب المصحف، وتصنيف الكتب، وتدوين الدواوين، وتضمين الصناع، وسائر ما ذكر الأصوليون في أصل المصالح المرسلة، فخلطوا وغلطوا، واتبعوا ما تشابه من الشريعة ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها، وهو كله خطأ على الدين، واتباع لسبيل الملحدين، فإن هؤلاء الذين أدركوا هذه المدارك، وعبَّروا على هذه المسالك، إما أن يكونوا قد أدركوا من فهم الشريعة ما لم يفهمه الأولون أو حادوا عن فهمها، وهذا الأخير هو الصواب؛ إذ المتقدمون من السلف الصالح كانوا على الصراط المستقيم، ولم يفهموا من الأدلة المذكورة وما أشبهها إلا ما كانوا عليه، وهذه المحدثات لم تكن فيهم، ولا عملوا بها، فدلَّ على أن تلك الأدلة لم تتضمن هذه المعاني المخترعة بحال، وصار عملهم بخلاف ذلك دليلاً إجماعياً على أن هؤلاء في استدلالاهم وعملهم مخطئون ومخالفون للسنَّة... إلخ(٢).

ب ـ أن كبار المفسرين قد فسَّرُوا هذه الآية الكريمة، ولم يكن في تفسيرهم أن المقصود بالرحمة في هذه الآية رسول الله ﷺ، وإنَّما المقصود بالفضل والرحمة المفروح بهما، ما عنته الآية السابقة لهذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٣).

قال ابن جرير(٤) في تفسيره: (القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ

=وروح الكلب إلى إنسان، وأن أرواح الصدّيقين تسري في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك في سرور دائم، وأرواح أهل الضلال ترد إلى السفل، فتتناسخ في أجسام الحيوانات. وهم جملة من القدرية، وجملة من الرافضة الغالية. كالبيانية والجناحية والخطابية والراوندية، وأول من قال بها في دولة الإسلام السبابية من الرافضة، لدعواهم أن علياً صار إلهاً حين حلَّ روح الإله فيه. وزعمت البيانية أن روح الإله دارت في الأنبياء ثم في الأئمة إلى أن صارت في بيان بن سمعان. يُراجع الكلام عنهم في: الفرق بين الفِرَق ص (٢٥٣ ـ ٢٥٩).

(١) سورة الانفطار، الآية: ٨.

(٢) يُراجع: الموافقات (٣/ ٤١ ـ ٤٤).

(٣) سورة يونس، الآيتان: ٥٧، ٥٨.

(٤) تقدمت ترجمته ص (١٢٥) من هذا الكتاب.

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المكذبين بك، وبما أُنزل إليك من عند ربك. «بِفَضْلِ اللَّهِ» أيها الناس الذي تفضَّل به عليكم وهو الإسلام، فبيَّنه لكم، ودعاكم إليه. «وَبِرَحْمَتِهِ» التي رحمكم بها فأنزلها إليكم فعلَّمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه، فبصَّركم بها معالم دينكم وذلك القرآن. «فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» يقول: فإن الإسلام الذي دعاهم إليه، والقرآن الذي أنزله عليهم، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وكنوزها[1]. ا. هـ.

وقال القرطبي[2] ـ رحمه الله ـ في «الجامع لأحكام القرآن»: (قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾. قال أبو سعيد الخدري[3] وابن عباس[4] ـ رضي الله عنهم ـ: فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام. وعنهما أيضاً: فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلكم من أهله.

وعن الحسن[5]، والضحاك[6]، ومجاهد[7]، وقتادة[8]: فضل الله الإيمان،

---

(١) يُراجع: تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ١٠٥).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الله الأندلسي القرطبي، المفسّر، من العلماء الورعين الزاهدين، كان وقته معموراً بالعبادة والتصنيف، جمع في تفسير القرآن كتاباً كبيراً سمَّاه (جامع أحكام القرآن)، وله كتاب التذكرة بأمور الآخرة، وغيرهما من الكتب. توفي سنة ٦٧١هـ بمنية بني خصيب من صعيد مصر ـ رحمه الله ـ.
تُراجع ترجمته في: الديباج المذهب ص (٣١٧، ٣١٨)، وشذرات الذهب (٥/ ٣٣٥).

(٣) تقدمت ترجمته ص (١١١) من هذا الكتاب.

(٤) تقدمت ترجمته ص (٢٤) من هذا الكتاب.

(٥) تقدمت ترجمته ص (٥٤) من هذا الكتاب.

(٦) هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وثَّقه أحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين، وكان فقيه مكتب كبير فيه ثلاثة آلاف صبي، فكان يركب حماراً ويدور عليهم، وكان يعلم ولا يأخذ أجراً. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٠٥هـ، وقيل: ١٠٢هـ، وقيل: ١٠٦هـ.
تُراجع ترجمته في: الطبقات (٦/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢)، والجرح والتعديل (٤/ ٤٥٨، ٤٥٩) ترجمة رقم (٢٠٢٤)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٨ ـ ٦٠٠) ترجمة رقم (٢٣٨).

(٧) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، مولىٰ قيس بن السائب المخزومي، قال: عرضت القرآن علىٰ ابن عباس ثلاثين عرضة، وكان فقيهاً عالماً، ثقة، كثير الحديث. وكان من العبَّاد الزهَّاد مع الفقه والورع. مات بمكة وهو ساجد سنة ١٠٢هـ، أو: ١٠٣هـ. وكان عمره ٨٣ سنة.
تُراجع ترجمته في: الطبقات (٥/ ٤٦٦، ٤٦٧)، والمعارف ص (٤٤٤، ٤٤٥)، ومشاهير علماء الأمصار ص (٨٢) ترجمة رقم (٥٩٠)، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص (٦٩).

(٨) تقدمت ترجمته ص (١٦٣) من هذا الكتاب.

ورحمته القرآن ـ على العكس من القول الأول)[١] ا. هـ.

وقال ابن كثير[٢] ـ رحمه الله ـ في تفسيره: (يقول الله تعالى ممتناً على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم، على رسوله الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: زاجر عن الفواحش. ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: من الشبه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنَّما ذلك للمؤمنين به والمصدِّقين الموقنين بما فيه، كقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿... قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ...﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٥]، أي: بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق، فليفرحوا فإنَّهُ أولى ما يفرحون به)[٦] ا. هـ.

وقال ابن قيم الجوزية[٧] في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: (وقد دارت أقوال السلف، على أن فضل الله ورحمته: الإسلام والسنَّة)[٨] ا. هـ.

---

(١) يُراجع: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٥٣).

(٢) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير البصري الدمشقي، عماد الدين الفقيه الشافعي، ولد سنة ٧٠٠هـ أو بعدها بيسير، مات أبوه سنة ٧٠٣هـ، وقدم دمشق وله سبع سنين سنة ٧٠٦هـ مع أخيه وأخذ من علمائها، فجمع التفسير، وجمع التاريخ الذي سمَّاه البداية والنهاية، ولازم المزي وصاهره، وصحب ابن تيمية ـ شيخ الإسلام ـ ففتن بحبه وامتحن بسببه، وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس، مات سنة ٧٧٤هـ وكان قد أضر في أواخر عمره.
تُراجع ترجمته في: الدرر الكامنة (١/ ٣٧٣، ٣٧٤) ترجمة رقم (٩٤٤)، وشذرات الذهب (٦/ ٢٣١، ٢٣٢).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٥) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٦) يُراجع: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٠، ٤٢١).

(٧) تقدمت ترجمته ص (٩٨) من هذا الكتاب.

(٨) يُراجع: اجتماع الجيوش الإسلامية ص (٦).

وقال ابن عبد الهادي[١] في الصارم المنكي في الرد على السبكي[٢]: (. . . ولا يجوز إحداث تأويل في آية، أو في سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه، ولا بيَّنوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا، وضلُّوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه؟ . . .)[٣] ا. هـ.

والشُّبَه التي استند إليها القائلون بالاحتفال بالمولد النبوي كثيرة، وليس هذا مجال حصرها؛ لأن استقصاءها والإحاطة بها، تحتاج إلى مؤلَّف منفرد خاص بها، والقصد هنا هو الإشارة والتنبيه إلى بعض هذه الشبه، وقد ذكرت بشكل موجز ردود العلماء على هذه الشُّبه، وأنه ليس في أي واحدة منها دليل على جواز الاحتفال بالمولد النبوي. ولكن القائلين بهذه البدعة أرادوا إضفاء الصبغة الشرعية على هذا الأمر المبتدع، فاستشهدوا بهذه الأدلة، وفسَّروها بما يوافق هواهم، وعقيدتهم الفاسدة، فكانوا كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ!!﴾[٤] ـ والله أعلم ـ .

* * *

(١) هو: محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الحنبلي، شمس الدين، ولد سنة ٧٠٥هـ، وحصل من العلوم ما لا يبلغه إلا الشيوخ الكبار، وتفنن في الحديث والنحو والتصريف، والفقه والتفسير، والتاريخ والقراءات، وكان حافظاً جيداً لأسماء الرجال، وطرق الحديث، عارفاً بالجرح والتعديل، بصيراً بعلل الحديث، حسن الفهم جيد المذاكرة، مستقيماً على طريقة السلف، واتباع الكتاب والسنة، مثابراً على فعل الخيرات، من مصنفاته: كتاب الأحكام، والرد على السبكي، والمحرر في الحديث. مرض ثلاثة أشهر بقرحة وحمى سل، توفي سنة ٧٤٤هـ، وكانت جنازته مشهودة، وعمره لم يبلغ الأربعين سنة.
تُراجع ترجمته في: البداية والنهاية (١٤/ ١٨١، ١٨٢)، والدرر الكامنة (٣/ ٣٣١، ٣٣٢) ترجمة رقم (٨٨٨).

(٢) هو: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، تقي الدين، الشافعي، المفسر، الحافظ، الأصولي، اللغوي، النحوي، المقرئ البياني الجدلي، ولد سنة ٦٨٣هـ ورحل إلى الشام والإسكندرية والحجاز طلباً للحديث، تولى قضاء دمشق سنة ٧٣٩هـ. له مصنفات، منها: العمدة، والطبقات الكبرى، ومصنفاته نحو مائة وخمسين كتاباً. توفي بالقاهرة سنة ٧٥٦هـ.
تُراجع ترجمته في: الدرر الكامنة (٣/ ٦٣ ـ ٧١) ترجمة رقم (١٤٨)، وشذرات الذهب (٦/ ١٨٠، ١٨١).

(٣) يُراجع: الصارم المكني ص (٤٢٧).

(٤) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

المبحث الرابع
طريقة إحياء المولد

قال المقريزي[١] في «الخطط» يصف جلوس الخليفة في الموالد الستة[٢]:

((فإذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، تقدَّم ـ الخليفة ـ بأن يعمل في دار الفطرة[٣]: عشرون قناطراً من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائفها، وتعبأ في ثلاثمائة صينية من النحاس، وهو مولد النبي ﷺ، فتفرق تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب، وكل صينية في قوارة[٤]، من أول النهار إلى ظهره، فأول أرباب الرسوم قاضي القضاة، ثم داعي الدعاة، ويدخل في ذلك القرَّاء بالحضرة والخطباء، والمتصدرون بالجوامع، وقومة المشاهد. . . .

فإذا صلَّى الخليفة الظُّهرَ، ركب قاضي القضاة، والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر[٥]، ومعهم أرباب تفرقة الصواني، فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة، ثم يستدعى قاضي القضاة ومن معه، وقد كنست الطريق، ورشت بالماء رشاً خفيفاً، وفرش تحت المنظرة[٦] الرمل الأصفر، فيقربون من المنظرة ويترجلون قبل الوصول إليها

---

(١) تقدمت ترجمته ص (١٤٥) من هذا الكتاب.

(٢) تقدم ذكر هذه الموالد ص (١٤٥) من هذا الكتاب.

(٣) تقع خارج القصر، بناها العزيز بالله، وقرر فيها ما يعمل، مما يحمل إلى الناس في العيد، وهي قبالة باب الديلم من القصر، الذي يدخل منه إلى المشهد الحسيني.
يُراجع: الخطط المقريزية (١/ ٤٢٥).

(٤) القوارة: مشتقة من قوارة الأديم والقرطاس، وهو ما قورت من وسطه ورميت ما حواليه، كقوارة الجيب إذا قورته وقرته، وكل شيء قطعت من وسطه خرقاً مستديراً فقد قورته.
يُراجع: لسان العرب (٥/ ١٢٣) مادة (قور).

(٥) هو أول مسجد أسس بالقاهرة، والذي أنشأه القائد جوهر الصقلي مولى المعز لدين الله، لما اختط القاهرة، وشرع في بنائه سنة ٣٥٩هـ وكمل بناؤه سنة ٣٦١هـ.
يُراجع: الخطط المقريزية (٢/ ٢٧٣).

(٦) المنظرة: موضع في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو، والمنظرة المرقبة. يُراجع: لسان العرب (٥/ ٢١٧) مادة (نظر).
والمراد بها هنا: هي الأماكن التي كان يشرف منها الخلفاء العبيديون على الاحتفال ببعض الأعياد. يُراجع: تاريخ الدولة الفاطمية ص (٦٣٤).

بخطوات، فيجتمعون تحت المنظرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة، فتفتح إحدى الطاقات[١]، فيظهر منها وجهه ـ الخليفة ـ وما عليه من المنديل وعلى رأسه عدة من الأستاذين[٢] المحنكين، وغيرهم من الخواص، ويفتح بعض الأستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كمه ويشير به قائلاً: أمير المؤمنين يرد عليكم السلام. فيسلم بقاضي القضاة أولاً بنعوته، وبصاحب الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين أحد، فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة، ويكونون قياماً في الصدر، وجوههم للحاضرين، وظهورهم إلى حائط المنظرة، فيقدم خطيب الجامع الأنور[٣] المعروف بجامع الحاكم، فيخطب كما يخطب فوق المنبر، إلى أن يصل إلى ذكر النبي ﷺ فيقول: وإن هذا يوم مولده، إلى ما من الله به على ملَّة الإسلام من رسالته، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة، ثم يؤخر، ويقدّم خطيب الجامع الأزهر[٤]، فيخطب كذلك، ثم خطيب الجامع الأقمر[٥] فيخطب كذلك، والقراء في خلال خطابة الخطباء، يقرأون!!!.

فإذا انتهت خطابة الخطباء، أخرج الأستاذ رأسه ويده في كمه من طاقته، وردّ على الجماعة السلام، ثم تغلق الطاقتان فتنفضُّ الناس، ويجري أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام، إلى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولا نقص))[٦] ا. هـ.

---

(١) الطاقات: جمع طاق، وهو ما عطف من الأبنية، هو الذي يعقد بالآجر.
يُراجع: لسان العرب (١٠/ ٢٣٢، ٢٣٣).

(٢) هم الخدم والطواشيه، ومنهم أرباب الوظائف المختصون بشئون الخليفة واحتياجاته، وأعظمهم مكانه الأستاذون المحنكون الذين يديرون عمائمهم على أحناكهم، وهم أقرب الخدام إلى الخليفة، ومنهم من يحمل رسائل الخليفة إلى الوزير، ومن يشرف على إعداد مجلسه... إلخ.
يُراجع: صبح الأعشى (٣/ ٤٧٧).

(٣) ويقع خارج باب الفتوح ـ أحد أبواب القاهرة ـ، وأول من أسسه العزيز بالله، وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله، وكان تأسيسه سنة ٣٨٠هـ، وانتهى بناؤه على يد الحاكم سنة ٤٠٣هـ.
يُراجع: خطط المقريزي (٢/ ٢٧٧).

(٤) تقدَّم الكلام عنه ص (١٧٨) من هذا الكتاب.

(٥) بناه الآمر سنة ٥١٩هـ بواسطة وزيره المأمون بن البطائحي، وكان مكانه دكاكين علافين، وأول جمعة أقيمت فيه سنة ٧٩٩هـ بعد أن جدده الأمير أريلبغا أحد المماليك الظاهرية.
يُراجع: الخطط المقريزية (٢/ ٢٩٠).

(٦) يُراجع: الخطط المقريزية (١/ ٤٣٣).

وقال ابن خلّكان[١] في وصف احتفال مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري[٢] صاحب إربل[٣] بالمولد النبوي:

((وأما احتفاله بمولد النبي ﷺ، فإنَّ الوصف يقصر عن الإحاطة به، لكن نذكر طرفاً منه: وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه، فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل[٤] خلق كثير من الفقهاء والصوفية[٥] والوعَّاظ والقرَّاء والشعراء، ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول، ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب، كل قبة أربع أو خمس طبقات، ويعمل مقدار عشرين قبة أو أكثر، منها قبة له، والباقي للأمراء وأعيان دولته لكل واحد قبة، فإذا كان أول صفر زيَّنوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المستجملة، وقعد في كل قبة جوق[٦] من المغاني، وجوق من أرباب الخيال، ومن أصحاب الملاهي، ولم يتركوا طبقة من تلك الطباق في كل قبة حتى رتَّبوا فيها جوقاً، وتبطل معايش الناس في تلك المدة، وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم...، فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر، ويقف عليها قبة قبة إلى آخرها، ويسمع غناءهم، ويتفرج على خيالاتهم، وما يفعلونه في القباب، ويبيت في الخانقاه[٧]، ويعمل السماع[٨]،

---

(١) تقدمت ترجمته ص (١٣٩) من هذا الكتاب.

(٢) تقدمت ترجمته ص (١٤٨) من هذا الكتاب.

(٣) تقدم الكلام عنها ص (١٤٨) من هذا الكتاب.

(٤) مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين، وبلاد العجم وغيرها من النواحي.

(٥) الصوفية: التصوف: طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص، وهم بين الكفر والبدعة، وتشعبت بهم الطرق حتى فسدت عقائدهم حتى قالوا بالحلول والاتحاد. يُراجع: تلبيس إبليس ص (١٦١ ـ ١٦٩).

(٦) الجوق: الجماعة من الناس، وقال ابن سيده: أحسبه دخيلاً. يُراجع: لسان العرب (١٠/ ٣٧) مادة (جوق).

(٧) الخانقاه: رباط الصوفية. معرب مولد استعمله المتأخرون. يُراجع: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ص (١١٣).

(٨) السماع: ما يتخذه بعض الناس طريقاً إلى الله، يجتمع عليه أهل الديانات لصلاح القلوب، والتشويق إلى المحبوب، والتخويف من المرهوب، والتحزين على فوات المطلوب، فتستنزل به الرحمة، وتستجلب به النعمة، وتحرك به مواجيد أهل الإيمان وتستجلي به مشاهد أهل العرفان، حتى يقول بعضهم: إنه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه، حتى=

ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد، ثم يرجع إلى القلعة[١] قبل الظهر. هكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد. وكان يعمله سنة في ثامن الشهر، وسنة في الثاني عشر؛ لأجل الاختلاف الذي فيه، فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً على الوصف، وزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني والملاهي، حتى يأتي بها إلى الميدان، ثم يشرعون في نحرها، وينصبون القدور، ويطبخون الألوان المختلفة، فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة، ثم ينزل وبين يديه الشموع المشتعلة شيء كثير، وفي جملتها شمعتان أو أربع ـ أشك في ذلك ـ من الشموع الموكبية[٢]، التي تحمل كل واحدة منها على بغل، ومن ورائها رجل يسندها، وهي مربوطة على ظهر البغل، حتى ينتهي إلى الخانقاه. فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية[٣] على يد كل واحدٍ منهم بقجة[٤]، وهم متتابعون، كل واحد وراء الآخر، فينزل من ذلك شيء كثير لا أتحقق عدده، ثم ينزل إلى الخانقاه، وتجتمع الأعيان والرؤساء، وطائفة كبيرة من بياض الناس، وينصب كرسي للوعّاظ، وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذي فيه الناس والكرسي، وشبابيك أُخر للبرج أيضاً إلى الميدان، وهو ميدان كبير في غاية الاتساع، ويجتمع فيه الجند، ويعرضهم ذلك النهار، وهو تارة ينظر إلى عرض الجند وتارة إلى الناس والوعاظ، ولا يزال كذلك حتى يفرغ الجند

=يجعلونه قوتاً للقلوب، وغذاء للأرواح، وحادياً للنفوس، يحدوها إلى السير إلى الله، ويحثها على الإقبال عليه.

والسماع: أمر محدث حدث في أواخر المائة الثانية، فأنكره الأئمة ومنهم الشافعي وأحمد ولم يحضره الصالحون كابن أدهم والفضيل، وقال الشافعي: إنه من إحداث الزنادقة كابن الراوندي، والفرابي، وابن سينا، والمتخذين للسماع هم الصوفية.

يُراجع: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٥٦٢ ـ ٥٧١)، وتلبيس إبليس ص (٢٤٢ ـ ٢٥٠)، ومجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/ ٤٧، ٤٨).

(١) وهي قلعة إربل المشهورة. تقدَّم الكلام عنها ص (١٤٨) من هذا الكتاب.

(٢) نسبة إلى الموكب، والموكب: جماعة من الناس ركباناً ومشاة، وكذلك القوم الركوب على الإبل للزينة، وكذلك جماعة الفرسان. يُراجع: لسان العرب (١/ ٨٠٢) مادة (وكب).

(٣) تقدَّم الكلام عنهم ص (١٨٠) من هذا الكتاب.

(٤) بقجة: من المولد. وهي ظرف من القماش المعروف. يُراجع: شفاء الغليل فيما كلام العرب من الدخيل ص (٧٩).

من عرضهم، فعند ذلك يقدم السماط في الميدان للصعاليك، ويكون سماطاً عاماً فيه من الطعام والخير شيء كثير لا يحد ولا يوصف، ويمد سماطاً ثانياً في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسي، وفي مدة العرض، ووعظ الوعاظ يطلب واحداً واحداً من الأعيان والرؤساء، والوافدين لأجل هذا الموسم، من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء، ويخلع على كل واحد، ثم يعود إلى مكانه فإذا تكامل ذلك كله، حضروا السماط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره، ولا يزالون على ذلك إلى العصر أو بعدها، ثم يبيت تلك الليلة هناك، ويعمل السماعات إلى بكرة . . . هكذا يعمل في كل سنة، وقد لخصت صورة الحال، فإن الاستقصاء يطول، فإذا فرغوا من هذا الموسم، تجهز كل إنسان للعودة إلى بلده فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة))[1] ا. هـ.

وقال ابن كثير[2] في ترجمة الملك المظفر كوكبوري[3]: (قال السبط[4]: حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد، كان يمد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي، وعشرة الاف دجاجة، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى، قال: وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم، ويطلق لهم، ويعمل للصوفية سماعاً من الظهر إلى الفجر ويرقص بنفسه معهم، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة على

---

(١) يُراجع: وفيات الأعيان (٤/ ١١٧ ـ ١١٩). وكان من ولع الملك المظفر بعمل المولد أن صنف له أبو الخطاب بن دحية مجلداً في المولد النبوي سماه: كتاب التنوير في مولد البشير النذير، فأجازه على ذلك بألف دينار.
يُراجع: وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٩، ٤٥٠).

(٢) تقدمت ترجمته ص (١٧٦) من هذا الكتاب.

(٣) تقدمت ترجمته ص (١٤٨) من هذا الكتاب.

(٤) هو: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي التركي البغدادي، سبط الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، ولد سنة ٥٨١ هـ ببغداد، وقدم دمشق بعد سنة ٦٠٠هـ فوعظ بها، وحصل له القبول العظيم. كان حنبلياً ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة، توفي سنة ٦٥٤هـ بدمشق ودفن بجبل قاسيون.
من مصنفاته: كتاب مرآة الزمان في التاريخ، والتفسير في تسع وعشرين مجلداً، وشرح الجامع الكبير.
تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (٣/ ١٤٢)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٦٦، ٢٦٧).

أي صفة، فكان يصرف على هذه الدار في كل سنة مائة ألف دينار)[١] ا. هـ.

وقال السندوبي[٢] في وصف الاحتفال بالمولد النبوي في القاهرة[٣] سنة ١٢٥٠هـ ـ وفي هذا العهد كان العالم الإنجليزي (ادوارد وليم لين)[٤] يزور القاهرة، فشاهد الاحتفال بالمولد النبوي ـ، فوصفه وصفاً شيقاً. . . .

((قال ـ وليم لين ـ «في أول ربيع الأول الشهر الثالث من شهور السنة الهجرية، يبدأ الاستعداد للاحتفال بمولد النبي ﷺ، وأكبر ساحات هذا الاحتفال شأناً: الجزء الجنوبي الغربي المعروف ببركة الأزبكية، وفي هذه الساحة أُقيمت صيوانات[٥] كثيرة للدراويش[٦]، وفيها يجتمعون كل ليلة للقيام بحلقات الذكر ما دام الاحتفال بالمولد، وبين هذه الصيوانات ينصب صاري[٧] يثبت بالحبال ويعلق فيه من القناديل اثنا عشر أو

---

(١) يُراجع: البداية والنهاية (١٣/ ١٣١)، والحاوي للسيوطي (١/ ١٨٩، ١٩٠).

(٢) بحثت في كثير من الكتب المتأخرة التي تعني بتراجم الأعلام ولم أعثر له على ترجمة. ولكنه ذكر في آخر كتابه «تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي» أنه انتهى من تأليف سنة ١٣٦٧هـ.

(٣) هي المدينة الكبيرة التي أحدثها جوهر الصقلي غلام المعز ـ الخليفة العبيدي ـ وذلك فور دخوله مصر سنة ٣٥٨هـ، وقد فصل ابن تغري بردي الكلام عنها في بنائها وصفتها وحاراتها وأسواقها فليراجع في كتابه «النجوم الزاهرة» (٤/ ٣٤ ـ ٥٤). وكذلك المقريزي في الخطط والآثار (١/ ٣٥٩ ـ ٣٨٠). وهي الآن عاصمة مصر. ويزيد سكانها عن ثمانية ملايين نسمة. تقع على نهر النيل.

(٤) هو ادوارد وليم لين، من المستشرقين الإنجليز، تعلم العربية في بلاده، وأتقنها في مصر، حيث قضى نحو ١٤ عاماً في ثلاث رحلات إليها، وعاشر أهلها وتزيا بزيهم. توفي سنة ١٢٩٢هـ، وعمره ٧٥ عاماً.

من كتبه: معجم عربي إنجليزي سماه «مد اللغة»، وترجمة ألف ليلة وليلة، وأخلاق المصريين المعاصرين وعاداتهم.

تراجع ترجمته في: الأعلام (١/ ٢٨٤).

(٥) لم أعثر على معنى لهذه الكلمة في المعاجم اللغوية المشهورة، ولعلها من الدخيل. والذي يتبادر إلى الذهن ـ والله أعلم ـ أن الصيوانات جمع صيوان: والصيوان هو الخيمة الكبيرة من الصوف أو القماش، والتي تستعمل عادة في المناسبات وتضرب عادة خارج المنازل.

(٦) لم أعثر لهذه الكلمة على معنى في الكتب التي اطلعت عليها. ولعل المراد بهم ـ والله أعلم ـ عوام الصوفية.

(٧) صاري السفينة: الخشبة المعترضة في وسطها. وهو دقل السفينة الذي ينصب في وسطها قائماً، ويكون عليه الشراع. يُراجع: لسان العرب (١٤/ ٤٦٠) مادة (صرى).

أكثر، وحول هذا الصاري تقوم حلقة الذكر، وهي تتكون عادة من نحو خمسين أو ستين درويشاً.

وفي اليوم الثاني من الشهر ينتهون من إقامة معالم الاحتفال ومعداته ـ في العادة ـ ثم يشرعون في اليوم التالي في مظاهر الاحتفال ليلاً ونهاراً إلىٰ الليلة الثانية عشرة من الشهر، وهي ليلة المولد الكبرىٰ... ففي النهار يتسلىٰ الناس في الساحة الكبرىٰ بالاستماع إلىٰ الشعراء، والتفرج علىٰ الحواة[١] ونحوه.

أما الغواني فقد أكرهتهن الحكرمة من عهد قريب علىٰ التوبة وترك مهنتهن من رقص ونحوه، فلا أثر لهن في احتفال هذه السنة، وكن في الموالد السابقة من أكثر العاملين في الاحتفال اجتذاباً للمتفرجين!!!....

أما في الليل فتضاء الشوارع المحيطة بساحة المولد، بقناديل كثيرة، تعلق غالباً في فوانيس من الخشب، ومن دكاكين المأكولات، ونصبات الحلوىٰ ما يبيت مفتوحاً طوال الليل، وكذلك القهاوي التي قد يكون في بعضها، وفي غيرها من الأماكن: شعراء ومحدثون، ينصت إليهم كل من أراد من المارة.

أما في الليلتين الأخيرتين فيكون المولد أكثر زحاماً وأسباب التفرج والمسليات أعظم منها في الليالي السابقة[٢].

ثم وصف المؤلف الإنجليزي ـ ادوارد وليم لين [٣] ـ مجلساً كاملاً من مجالس الذكر التي تعمل في الموالد وغيرها فقال: وفي ليلة المولد الكبرىٰ ذهبت إلىٰ الساحة الرئيسة، فرأيت ذكراً قوامه ستين درويشاً، حول صاري، وكان ضوء القمر كافياً لإنارة الساحة، وكان الدرويش حول الصاري من طوائف مختلفة وكانوا يقولون: [يا الله] ثم يرفعون رؤوسهم، ويصفقون جميعاً بأيديهم أمام وجوههم، وكان داخل حلقة الذكر خلق كثير قد جلسوا علىٰ الأرض، ولبث الذكيرة يذكرون علىٰ هذا النحو مقدار نصف ساعة، ثم انقسموا جماعات، كل جماعة من خمسة أو ستة، ولكنهم بقوا

---

(١) الحواة: جمع حاوي، وهو الذي يرقي الحيات ويجمعها، والرجل يقوم بأعمال غريبة (مولد) والجمع حواة.
يُراجع: المعجم الوسيط (١/ ٢٠٩) مادة (حوىٰ).

(٢) يُراجع: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي ص (١٧٤ ـ ١٧٧).

(٣) تقدمت ترجمته ص (١٨٣) من هذا الكتاب.

يكونون حلقة واسعة، ثم أمسك أفراد كل جماعة بعضهم ببعض كل منهم، ما عدا الأول قد وضع ذراعه اليمنى على ظهر من يليه يساراً، ويده على الكتف اليسرى ـ كتف من يليه ـ ثم اتجهوا إلى النظّارة ـ المتفرجين ـ خارج الحلقة، وأخذوا يذكرون (الله) بصوت أجش عميق، وهم في هذه الحالة يتقدمون إلى الأمام خطوة، ثم إلى الوراء خطوة، مع تحرك كل منهم قليلاً إلى اليسار فكانت الحلقة كلها تدور ولكن ببطء شديد، وكان كل منهم يمد يده اليمنى نحو النظّارة خارج الحلقة مشيراً بالتحية، وهؤلاء أو أغلبهم كانوا يردون السلام على الذكّيرة، وأحياناً كان بعضهم يقبل اليد الممتدة إليه إذا قابلت وجهه متى كانوا قريبين منهم. . . ، ومن العوائد المتبعة عندهم أن يسكت من في الصواوين من الذكيرة، متى كان الذكر حول الصاري))[1] ا. هـ.

وقال السندوبي ـ أيضاً ـ في كتابه «تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي»:

((ومن الليالي الغر التي لا أنساها ما حييت، ليلة الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٥م[2] والتي تُعدُّ بحق مثالاً لما يجب أن يكون عليه الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف في كل عام: فقد شهدت في ساحة المولد[3] معالم الزينة التي تأخذ بالألباب، ومظاهر الاحتفال التي بدت في شكل فخم، ونظام جليل هناك، وفي هذ الميدان المترامي الأطراف، أُقيم السرادق[4] الملكي البديع، وقد تجلَّى في زخارفه وماس[5] في أستاره ومطارفه[6]، وفرش بالطنافس[7] الثمينة،

---

(١) يُراجع: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي ص (١٨٨، ١٨٩).

(٢) أي: في عهد الملك فاروق الأول ـ آخر ملوك مصر ـ.

(٣) ذكر السندوبي أنها تقع بصحراء قايتباي ـ المعروفة عند العامة بصحراء الخفير ـ.

(٤) السرادق: ما أحاط بالبناء، وقيل: كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب، أو الحائط المشتمل على الشيء، وهو كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء.
يُراجع: لسان العرب (١٠/ ١٥٧) مادة (سردق). والمراد به هنا ـ والله أعلم ـ: المخيَّم الكبير.

(٥) ماس: الميس التبختر، وماس يميس ميساناً: تبختر واختال.
يُراجع: لسان العرب (٦/ ٢٤٤) مادة (ميس).

(٦) المطارف: جمع مطرف، وهي أردية من خز مربعة لها أعلام، وقيل: المطرف من الثياب: ماجعل في طرفيه أعلام. يُراجع: لسان العرب (٩/ ٢٢٠)، مادة (طرف).

(٧) الطنافس: جمع طنفسة: وهي البساط الذي له خَمْلٌ رقيق. يُراجع: لسان العرب (٦/ ١٢٧) مادة (طنفس).

وصفَّت في رحابه الأرائك[١] المحلاَّة بالذهب، وانتشرت في جنباته النمارق[٢] الموصوفة، واسترسلت في ساحته الكلل[٣] الحريرية، ورفعت على سواريه الأعلام الملكية، وعلقت في مداخله المصابيح الباهرة الأنوار، وفي سماواته الثريات الآخذة بالأبصار. . . ، كما فُرشت أرض الميدان بالرمل الأصفر والأحمر، ووقف على أبوابه رجال الحرس الملكي في ملابسهم المزركشة. . . ووفد على هذه السرادق وزراء الدولة، وشيخ الأزهر، وطوائف العلماء!!، ووكلاء الوزارات، وكبار الموظفين، وكبراء الأمة، وأعيان الناس، من ذوي المراتب والألقاب، وجميع هؤلاء قد وقف في جلال ووقار، انتظاراً لتشريف حضرة الملك المعظم، أو من ينتدب للإنابة عنه في حضور الاحتفال.

وقبيل الظهر بساعة بينما هذا الجمع الحاشد في الانتظار. . . وصل الركب الملكي الفخم، وقد أقبل جلالته بوجهه المشرق على هذه الجموع، مشيراً بيده الكريمة إشارة التحية والسلام، واستقبله بعد ذلك كبار الشخصيات الموجودة في السرادق. . . ، وعندما وصلت المركبة الملكية قبالة السرادق الملكي العظيم، سمعت طلقات المدافع تدوي تحية الملك، وتعالت أصوات قوات الجيش هاتفة بحياته، ثم أخذت الموسيقى تصدح بأنغامها الشجية بالسلام الملكي. . . ، وبعد الانتهاء من عرض الجيش تقدّمت بين يدي الملك مشايخ الطرق الصوفية برجالها ومريديها، حاملين لأعلامهم وشاراتهم، وكل شيخ يمر بين يديه يقف هنيهة لقراءة الفاتحة، وتلاوة بعض الأدعية المأثورة بطريقتهم المعروفة في القراءة والدعاء، ثم يهتفون جميعاً بحياة الفاروق[٤] ثلاثاً.

---

(١) الأرائك: جمع أريكة: وهي سرير منجد في قبة أو بيت. وقيل: كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة.
يُراجع: لسان العرب (١٠/ ٣٨٩، ٣٩٠) مادة (أرك).

(٢) النمارق: هي الوسائد، ومنها ما يفرش تحت الراكب على الراحلة.
يُراجع: لسان العرب (١٠/ ٣٦١) مادة (نمرق).

(٣) الكلل: جمع كلة، وهي الستر الرقيق يضرب على القبور، وقيل: هي ما خيط من الستور فصار كالبيت، وقيل: هي ستر رقيق يخاط كالبيت يتوقى فيه من البعوض.
يُراجع: لسان العرب (١١/ ٥٩٥) مادة (كلل).

(٤) هو: فاروق ـ الملك ـ بن أحمد فؤاد ـ الملك ـ بن إسماعيل ـ الخديوي ـ بن إبراهيم بن محمد علي، آخر من حكم مصر من أسرة محمد علي، وآخر من لقب بالملك فيها، ولد بالقاهرة سنة=

ولما انتهى مرور أصحاب الطرق، عاد الملك إلى السرادق الملكي، حيث قدمت صنوف الحلوى، وأنواع المرطبات، فتناول منها جميع الحاضرين وبعد فترة قصيرة بارح جلالته السرادق الملكي قاصداً تشريف سرادق السادة البكرية(١)، وما إن أشرف عليه حتى نهض شيخ مشايخ الطرق الصوفية(٢)، وحوله جماعة من كبار المشايخ لاستقبال جلالته بما يليق بمقامه الكريم، ثم أُلقيت قصة المولد الشريف، وما إن وصل القارئ إلى ذكر مولده ﷺ حتى نهض الملك واقفاً إجلالاً وإعظاماً لهذه الذكرى الكريمة وبوقوفه وقف الجمع الحاشد في كمال الخشوع والإكرام، وعند الانتهاء من إلقاء القصة والدعاء للملك، بدأ القرَّاء في تلاوة ما يتيسَّر من القرآن الكريم، بترتيل حسن، وتنغيم مطرب جميل!!! وجميع القراء من مشهوري المجودين، ومذكوري الملحنين!!، وأصحاب الأصوات الشجية، والأنغام العذبة الندية، ثم تقدَّم الخدم والفراشون بصواني الحلوى، وأكواب المرطبات إلى بين يدي الملك ليتناول منها ما يشاء، كما أديرت بعد ذلك على سائر الحاضرين فتناول كل أحد منهم ما لذَّ وطاب، وفي أثناء إلقاء القصة الشريفة لم تنقطع المدافع عن دويها المطلق بنظام محكم، وترتيب بديع، كما أخذ المذيع بالراديو في ترديد القصة من أبواقه لإسماع الجمهور، وبعد ذلك نهض الملك وقرأ الفاتحة، وشاركه في قراءتها جميع الحاضرين))(٣) ا. هـ.

وقال السندوبي ـ أيضاً ـ في معرض كلامه عن المولد سنة ١٣٦٦هـ:

((وفي صبيحة يوم اثنا عشر من ربيع الأول عطلت أعمال الحكومة في وزاراتها ودواوينها ومصالحها، كما عطلت الأعمال في الدوائر المالية والتجارية احتفالاً بذكرى المولد النبوي الشريف على جاري العادة))(٤) ا. هـ.

= ١٩٢٠م، وتعلَّم بها وبفرنسا وانجلترا، وخلف أباه على ملك مصر سنة ١٩٣٦م، وأرغمته ثورة مصر سنة ١٩٥٢م على خلع نفسه. مات في روما بإيطاليا سنة ١٩٦٥م.
يُراجع: الأعلام (٥/ ١٢٨، ١٢٩).

(١) وكان لبيت السادة البكرية في إحياء المولد النبوي الشأن العظيم والقدح المعلى، والعناية الفائقة منذ دهر. قاله السندوبي في تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي ص (١٩٠).

(٢) وهو في ذلك الوقت أحمد مراد البكري.
يُراجع: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي ص (١٩٠).

(٣) يُراجع: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي ص(١٩٦ ـ ٢٠٠).

(٤) يُراجع: المرجع السابق ص (٢١٢).

فما تقدَّم من النصوص التي وصفت طريقة إحياء المولد النبوي في عصور مختلفة، يؤكد لنا أن هذه الاحتفالات ليست إلا تلبية لشهوات ورغبات النفوس المريضة من الناس، ومراسم هذه الاحتفالات من الأكل والشرب وإنشاد القصائد، واختلاط النساء بالرجال، وأعمال اللهو، وما يؤول على القائمين على هذه الاحتفالات من الأموال، والعطايا والهدايا، خير شاهد على ما ذكرت.

فليس القصد كما يدَّعُون تعظيم النبي ﷺ والفرح بذكرى مولده، وإحياء ذكره، وإثبات محبتهم له ﷺ بتلك الاحتفالات المبتدعة.

وكون هذه الاحتفالات أمر محدث مبتدع فهذا كاف في ذمِّهَا، والتحذير منها، لا سيما وأن من ابتدعها إنَّما ابتدعها بسوء نية، كما تقدَّم بيان ذلك(١).

وربَّمَا شذَّ عن هذه القاعدة أناس فعلوا ذلك عن حسن نية ولكن حسن النية لا يبيح الابتداع في الدين، فمن قبلنا من الملل كانوا يبتدعون في دينهم أموراً بقصد التعظيم وحُسن النيَّة، حتى صارت أديانهم غير ما جاءت به رسلهم، ولو تساهل سلفنا الصالح كما تساهلوا، وكما تساهل الخلف الذين اتبعوا سننهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، لضاع أصل ديننا، لا سيما وأن هذه الاحتفالات لا تخلو من الشرك الأكبر وهو التوسل بالرسول ﷺ والاستغاثة به، ودعاؤه، واللجوء إليه، ومن المعلوم أن الشرك الأكبر مُخْرِجٌ من الملَّة.

ولكنَّ الله تكفَّل بحفظ هذا الدين، وجعل السلف الصالح من تبع نهجهم وآثارهم سبب لذلك، لحرصهم على الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونبذ كل ما يكدر صفو هذا الدين. ومحبة الرسول ﷺ الحقيقية والصادقة هي طاعته فيما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وتعظيمه يكون بالصلاة عليه، والالتزام بسنته، والعمل بها، والذبِّ عنها، كما سنوضح ذلك في المبحث التالي ـ إن شاء الله ـ والله أعلم.

* * *

(١) في المبحث الأول من الفصل الثالث ص (١٧١ ـ ١٧٤) من هذا الكتاب.

المبحث الخامس
حقيقة محبته ﷺ

اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي ﷺ، وكثرت عباراتهم في ذلك، وليست ترجع في الحقيقة إلى اختلاف مقال، ولكنها اختلاف أحوال:

فقال سفيان(١): (المحبة اتباع الرسول ﷺ كأنه التفت إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وقال بعضهم: محبة الرسول ﷺ اعتقاد نصرته، والذبّ عن سنته، والانقياد لها، وهيبة مخالفته.

وقال بعضهم: المحبة دوام الذكر للمحبوب.

وقال آخر: إيثار المحبوب.

وقال بعضهم: المحبة: الشوق إلى المحبوب.

وقال بعضهم: المحبة: مواطأة القلب لمراد الرب، يحب ما أحب ويكره ما كره.

وقال آخر: المحبة: ميل القلب إلى موافق له(٣).

وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها.

وحقيقة المحبة: الميل إلى ما يوافق الإنسان، وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه، كحب الصور الجميلة، والأصوات الحسنة، والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها، مما كل طبع مائل إليها لموافقتها له، أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة، كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف، والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة، فإن طبع الإنسان مائلٌ إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ

---

(١) قال الملا علي القاري في «شرح الشفا»: (أي الثوري أو ابن عيينة) ا.هـ.
يُراجع: شرح الشفا (٢/ ٥٣). فأما الثوري فقد تقدمت ترجمته ص (٣٤) من هذا الكتاب.
وأما ابن عيينة فقد تقدمت ترجمته ص (١٢٥) من هذا الكتاب.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) يُراجع: شرح الشفا (٢/ ٥٧٨، ٥٧٩).

التعصب بقوم، والتشيع من أمة في آخرين، ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان، وهتك الحرم، واختراماً[٢] النفوس.

أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له، وإنعامه عليه، وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها.

فإذا تقرر هذا: نظرت هذه الأسباب كلها في حقه ﷺ فعلمت أنه ﷺ جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة: أما جمال الصورة، والظاهر، وكمال الأخلاق، والباطن، فهو أعلى الناس فيها قدراً، وأكملهم محاسن وفضلاً[١].

وأما إحسانه وإنعامه على أمته، فقد ذكره الله في كتابه العزيز في مواطن عدَّة، والتي وصفه الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأمورٍ، منها:

رأفته بأمته، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، وشفقته عليهم، واستنقاذهم به من النار، وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، ورحمة للعالمين، ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً ويتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

فأي إحسان أجل قدراً، وأعظم خطراً، من إحسانه إلى جميع المؤمنين؟

وأي إفضال أعم منفعة، وأكثر فائدة من إنعامه ـ بعد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على كافة المسلمين؛ إذ كان ذريعتهم[٢] إلى الهداية، ومنقذهم من العماية[٣]، وداعيهم إلى الفلاح، ووسيلتهم إلى ربهم، وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم، فقد استبان لك أنه ﷺ مستوجب للمحبة الحقيقية شرعاً؛ لما ورد في ذلك من النصوص، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٥].

---

(١) اخرمته المنية: أي أخذته، واخترم فلان: مات وذهب. وخَرَمَته الخوارم: إذا مات. يُراجع: لسان العرب (١٢/ ١٧٢) مادة (خرم).

(٢) يُراجع: الشفا (١/ ٧٩ ـ ١٠٩).

(٣) الذريعة: الوسيلة، والجمع: الذرائع. يُراجع: لسان العرب (٨/ ٩٦) مادة (ذرع).

(٤) العماية: الضلال، وهي فعالة من العمى، وعماية الجاهلية: جهالتها. يُراجع: لسان العرب (١٥/ ٩٧، ٩٨) مادة (عمي).

(٥) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

وقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»(١).

وقوله ﷺ: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ....**» الحديث(٢).

وقوله ﷺ لعمر بن الخطاب(٣) ـ رضي الله عنه ـ لما قال له عمر: يا رسول الله!، لأنت أحبّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ: «**لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك**». فقال عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبّ إليَّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»(٤).

وكذلك هو مستوجب للمحبة الحقيقية عادة وجبلة بما ذكرناه آنفاً لإفاضته الإحسان، وعمومه الإجمال، فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفاً، أو استنقذه من هلكة أو مضرة ـ مدة التأذي بها قليل منقطع ـ فمن كان سبباً لمنحه ما لا يبيد من النعيم، وسبباً لوقايته مما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب(٥).

وقال ابن بطال(٦) والقاضي عياض(٧) وغيرهما ـ رحمة الله عليهم ـ: (المحبة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (١/ ٥٨) كتاب الإيمان، حديث رقم (١٥). ورواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي (١/ ٦٧) كتاب الإيمان، حديث رقم (٤٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (١/ ٦٠) كتاب الإيمان، حديث رقم (١٦). ورواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي (١/ ٦٦) كتاب الإيمان، حديث رقم (٤٣).

(٣) تقدمت ترجمته ـ رضي الله عنه ـ ص (٢٠) من هذا الكتاب.

(٤) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (١١/ ٥٢٣) كتاب الأيمان والنذور، حديث رقم (٦٦٣٢).

(٥) يُراجع: الشفا للقاضي عياض (٢/ ٥٧٨ ـ ٥٨١).

(٦) هو: علي بن خلف بن بطّال البكري، أبو الحسن المالكي، كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث عناية تامَّة. توفي سنة ٤٤٩هـ. من مؤلفاته: شرحه على صحيح البخاري، والاعتصام في الحديث.
تُراجع ترجمته في: ترتيب المدارك (٤/ ٨٢٧)، والديباج المذهب ص (٢٠٣، ٢٠٤)، وشجرة النور الزكية ص (١١٥).

(٧) هو: القاضي عياض بن موسى ب عياض بن عمر اليحصبي السبتي، إمام وفقيه ببلاد المغرب، ولد سنة ٤٧٦هـ، كان إمام وقته في الحديث وعلومه، والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم. تولى القضاء ببلده ـ سبتة ـ مدة طويلة، ثم تولى قضاء غرناطة. توفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ ـ رحمه الله ـ. =

ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد. ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة[١] واستحسان كمحبة سائر الناس، فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته، قال ابن بطال ـ رحمه الله ـ: ومعنى الحديث[٢] أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين؛ لأنَّ به ﷺ استُنقذنا من النار، وهُدينا من الضلال[٣].

فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه، ومن علامات حبه ﷺ:

أ ـ الاقتداء به ﷺ، واستعمال سنته، واتِّباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

ب ـ إيثار ما شرعه عليه الصلاة والسلام، وحضٌّ عليه، على هوى نفسه، وموافقة شهوته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾[٥].

جـ ـ كثرة الذكر له ﷺ، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٦].

د ـ ومن علامات محبته ﷺ: محبة من أحب النبي ـ عليه السلام ـ من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار، وعداوة من عاداهم، وبُغض من أبغضهم، فمن أحب شيئاً

= له تصانيف كثيرة، منها: الإكمال في شرح صحيح مسلم، كمل به المعلم في شرح صحيح مسلم للمازري، ومشارق الأنوار، والتنبيهات، والإلماع، والشفا.
تُراجع ترجمته في: بغية الملتمس ص (٤٣٧) ترجمة رقم (١٢٦٩)، ووفيات الأعيان (٣/ ٤٨٣ ـ ٤٨٥) ترجمة رقم (٥١١).

(١) المشاكلة: الموافقة، والشاكلة: الطريقة والمذهب. يُراجع: لسان العرب (١١/ ٣٥٧).

(٢) أي: قول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والد وولده والناس أجمعين**». وسبق تخريجه ص (١٩١) من هذا الكتاب.

(٣) يُراجع: شرح النووي عل صحيح مسلم (٢/ ١٦، ١٧).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

أحب من يحبه. قال ﷺ: «**الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً**(١) **بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**»(٢).

وقال ﷺ: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بُغض الأنصار**»(٣).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»(٤).

هـ ـ ومن علامات محبته ﷺ: بُغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه، ومجانبة من خالف سنته، وابتدع في دينه، واستثقاله كل أمر يخالف شريعته، قال تعالىٰ: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾(٥).

و ـ ومنها: أن يحب القرآن الذي أُنزلَ عليه ﷺ ويحب سنته ويقف عند حدودها، قال سهل بن عبد الله(٦): (علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة،

---

(١) الغرض: شدة النزاع نحو الشيء، أو الهدف: أي لا تتخذوا أصحابي هدفاً ترموهم بقبيح الكلام كما يرمىٰ الهدف بالسهم.
يُراجع: النهاية (٣/ ٣٦٠) مادة (غرض). وتحفة الأحوذي (١٠/ ٣٦٥) أبواب المناقب.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٥٤، ٥٥)، ورواه الترمذي في سننه (٥/ ٣٥٨) أبواب المناقب، حديث رقم (٣٩٥٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (٧/ ١١٣) كتاب مناقب الأنصار، حديث رقم (٣٧٨٤). ورواه مسلم في صحيحه (١/ ٨٥) كتاب الإيمان، حديث رقم (٧٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (٧/ ١١٣) كتاب مناقب الأنصار، حديث رقم (٣٧٨٣). ورواه مسلم في صحيحه (١/ ٨٥) كتاب الإيمان، حديث رقم (٧٥).

(٥) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٦) هو: سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسىٰ بن عبد الله بن رفيع التستري ـ نسبة إلىٰ تستر ـ وهي بلدة من كور الأهواز من خوزستان ـ كان زاهداً صالحاً عالماً ورعاً، صحب خاله محمد بن سوار، ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه، يروىٰ عنه كلمات نافعة، ومواعظ حسنة. توفي سنة ٢٨٣هـ وعمره ثمانين سنة أو أكثر.
من مصنفاته: كتاب في تفسير القرآن، وكتاب رقائق المحبين.
تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ٤٢٩، ٤٣٠) ترجمة رقم (٢٨١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣) ترجمة رقم (١٥١)، والأعلام (٣/ ١٤٣).

وعلامة حب الآخرة بُغض الدنيا، وعلامة بُغض الدنيا ألاَّ يدَّخر منها إلا زاداً وبلغة إلى الآخرة)(١).

وإذا استعرضنا هذه العلامات، وجدنا أن الذين ابتدعوا الاحتفال بالمولد النبوي، لم تظهر عليهم أي علامة من هذه العلامات، ولم يتَّصِفُوا بإحداها، بل كانوا يتصفون بضدها. فلم يقتدوا به ﷺ في القول والفعل، ولم يمتثلوا أمره بلزوم السنة، ونهيه عن الإحداث في الدين، بل اطّرحوا سنته جانباً، وقدموا ما تهوىٰ أنفسهم وما يشتهونه على ما أمر الله سبحانه وتعالىٰ رسوله ﷺ، واشتغلوا بالمعاصي والملذات عن ذكره ﷺ، وسبُّوا صحابته وأنصاره ـ بل كفَّرُوهم ـ، وجاهروا بذلك، وقرَّبُوا أعداء الله ورسوله، وأظهروا لهم المودة، وولوهم أمور المسلمين(٢)، فهل يبقىٰ أدنىٰ شك في كذبهم فيما يزعمون من أن إقامتهم للمولد النبوي لأجل محبتهم له ﷺ، وتعظيم ذكراه؟؟!!؛ لأنَّ المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ إنَّمَا تكون بطاعته فيما أمر، والابتعاد عمَّا نهىٰ عنه والانقياد للشرع الذي جاء به، فلا يعبد الله إلا بما شرع، وكذلك الإكثار من الصلاة والسلام عليه، والتمسك بسنته، والعمل بها، والاقتداء به ﷺ في أقواله وأفعاله، وتقديم قوله علىٰ كل قول، فإنَّهُ لا أحد من الأمة معصوم من الخطأ إلا رسول الله ﷺ. فيجب أن يؤخذ قوله كله ولا يُرَدّ منه شيء، وأمور الدين إنَّمَا العمدة فيها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا مكان للاعتماد علىٰ الهوىٰ والاستحسان من غير دليل شرعي.

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(٣)، والله أعلم.

* * *

(١) يُراجع: الشفا (٢/ ٥٧١ ـ ٥٧٧).

(٢) يُراجع: المبحث الأول والثاني من هذا الفصل ص (١٣٧، ١٥٢) من هذا الكتاب.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

المبحث السادس
موقف أهل السنة من هذه البدعة

اتفق العلماء من السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ على أن الاحتفال بالمولد النبوي وغيره من المواسم غير الشرعية، أمر مُحدث مبتدع في الدين، ولم يؤثر ذلك عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابة، ولا عن التابعين وتابعيهم، ولا علماء الأمة المشهورين؛ كالأئمة الأربعة ونحوهم.

وسنذكر فيما يلي بعض أقوال السلف الصالح في هذا الشأن، ملحقين بها أقوال بعض المتأخرين من علماء الأمة:

●● قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]: (وأما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول، التي يُقال إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي يسميه الجهَّال عيد الأبرار، فإنَّها من البدع التي لم يستحبها السلف، ولم يفعلوها، والله سبحانه وتعالى أعلم)[٢] ا. هـ.

●● وقال ـ أيضاً ـ في «اقتضاء الصراط المستقيم»: ((فصل . ومن المنكرات في هذا الباب: سائر الأعياد والمواسم المبتدعة، فإنَّها من المنكرات المكروهات سواء بلغت الكراهة التحريم، أو لم تبلغه؛ وذلك أن أعياد أهل الكتاب والأعاجم نهي عنها؛ لسببين:

أحدهما: أن فيها مشابهة الكفار.

والثاني: أنها من البدع. فما أحدث من المواسم والأعياد هو منكر، وإن لم يكن فيها مشابهة لأهل الكتاب؛ لوجهين:

أحدهما: أن ذلك داخل في مسمى البدع والمحدثات، فيدخل فيما رواه مسلم[٣]

---

(١) تقدمت ترجمته ـ رحمه الله ـ ص (٢٢) من هذا الكتاب.

(٢) يُراجع: مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٩٨).

(٣) تقدمت ترجمته ص (١١٣) من هذا الكتاب.

في صحيحه عن جابر[١] ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذ خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، ويقول: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين** ـ ويقرن بين أصبعيه: السبابة والوسطى ـ ويقول: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[٢]. وفي رواية للنسائي[٣]: «**وكل ضلالة في النار**»[٤].

وفيما رواه مسلم[٥] ـ أيضاً ـ في الصحيح عن عائشة[٦] ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**»[٧]. وفي لفظ في الصحيحين: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**»[٨].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أهل السنن عن العرباض بن سارية[٩] عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّهُ من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[١٠].

---

(١) تقدمت ترجمته ـ رضي الله عنه ـ ص (٢٣) من هذا الكتاب.

(٢) تقدم تخريجه ص (٢٣ ـ ٢٤) من هذا الكتاب.

(٣) هو: أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن نمر بن دينار النسائي، أبو عبد الرحمن. ولد سنة ٢١٥هـ، كان مليح الوجه، ظاهر الدم مع كبر السن، كان إماماً حافظاً ثبتاً، وكان أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعلمهم بالحديث والرجال، والناظر في كتابه (السنن) يتحيّر في حسن كلامه. توفي ـ رحمه الله ـ بفلسطين خارجاً من مصر سنة ٣٠٣هـ.
وله من الكتب: السنن ـ من أشهر كتبه ـ، والضعفاء، والتفسير.
تُراجع ترجمته في: وفيات الأعيان (١/ ٧٧) ترجمة رقم (٢٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٥ ـ ١٣٥)، وتهذيب التهذيب (١/ ٣٦ ـ ٣٩) ترجمة رقم (٦٦).

(٤) رواه النسائي في سننه (٣/ ١٨٨، ١٨٩) كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة.

(٥) تقدمت ترجمته ص (١١٣) من هذا الكتاب.

(٦) تقدمت ترجمتها ـ رضي الله عنها ـ ص (٣١) من هذا الكتاب.

(٧) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣، ١٣٤٤) كتاب الأقضية، حديث رقم (١٧١٨).

(٨) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (٥/ ٣٠١) كتاب الصلح، حديث رقم (٢٦٩٧). ورواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣) كتاب الأقضية، حديث رقم (١٧١٨).

(٩) تقدمت ترجمته ص (٢٤) من هذا الكتاب.

(١٠) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٧)، ورواه أبو داود في سننه (٥/ ١٣ ـ ١٥) كتاب السنة، حديث رقم (٤٦٠٧)، ورواه الترمذي في سننه (٤/ ١٤٩، ١٥٠) أبواب العلم، حديث رقم (٢٨١٦)=

وهذه قاعدة قد دلَّت عليها السنة والإجماع، مع ما في كتاب الله من الدلالة عليها أيضاً. قال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ...﴾(١). فمن ندب إلىٰ شيء يتقرب به إلىٰ الله أو أوجبه بقوله أو بفعله، من غير أن يشرعه الله، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكاً لله، شرع من الدين ما لم يأذن به الله(٢) . . .

إلىٰ أن قال ـ والكلام في ذم البدع لما كان مقرراً في غير هذا الموضوع لم نطل النفس في تقريره، بل نذكر بعض أعيان هذه المواسم:

فصل: قد تقدَّم أن العيد يكون اسماً لنفس المكان، ولنفس الزمان، ولنفس الاجتماع، وهذه الثلاثة قد أحدث منها أشياء:

أما الزمان فثلاثة أنواع، ويدخل فيها بعض أعياد المكان والأفعال:

● **أحدها**: يوم لم تعظمه الشريعة الإسلامية أصلاً، ولم يكن له ذكر في السلف، ولا جرىٰ فيه ما يوجب تعظيمه، مثل: أول خميس من رجب، وليلة تلك الجمعة التي تسمىٰ الرغائب(٣).

● **النوع الثاني**: ما جرىٰ فيه حادثة كما كان يجري في غيره، من غير أن يوجب ذلك جعله موسماً، ولا كان السلف يعظمونه: كثامن عشر ذي الحجة(٤) الذي خطب النبي ﷺ فيه بغدير خم(٥) مرجعه من حجة الوداع. . . وكذلك ما يحدثه بعض الناس: إما مضاهاة للنصارىٰ في ميلاد عيسىٰ ـ عليه السلام ـ، وإما محبةً للنبي ﷺ، والله قد يثيبهم علىٰ هذه المحبة والاجتهاد(٦) لا علىٰ البدع ـ من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع

= وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٥، ١٦) المقدمة، حديث رقم (٤٢). ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٩٥، ٩٦) كتاب العلم، وقال: حديث صحيح ليس له علَّة، ووافقه الذهبي.

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ٢١.

(٢) يُراجع: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٧٨، ٥٧٩).

(٣) سيأتي الكلام عن بدعة صلاة الرغائب ص (٢٤) من هذا الكتاب.

(٤) سيأتي الكلام عن بدعة عيد غدير خم ص (٣٧٥) من هذا الكتاب.

(٥) غدير خم: يقع بين مكة والمدينة بالجحفة، وسيأتي الكلام عنها ص (٣٧٥) من هذا الكتاب.

(٦) قال الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه علىٰ اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية: (كيف يكون لهم ثواب علىٰ هذا؟ وهم مخالفون لهدي رسول الله ﷺ، ولهدي أصحابه، =

اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له، وعدم المانع فيه لو كان خيراً، ولو كان خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف ـ رضي الله عنهم ـ أحق به منا، فإنهم كانوا أشدّ محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنَّما كمال محبته وتعظيمه في متابعته، وطاعته واتباع أمره، وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وأكثر هؤلاء الذين تجدهم حرَّاصاً على أمثال هذه البدع ـ مع ما لهم فيها من حُسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم بهما المثوبة[1] ـ تجدهم فاترين في أمر الرسول ﷺ عمَّا أُمروا بالنشاط فيه، وإنَّما هم بمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه، أو يصلي فيه قليلاً، وبمنزلة من يتخذ المسابيح والسجادات المزخرفة، وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تُشرع، ويصحبها من الرياء والكِبْر، والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها))[2]ا. هـ.

= فإن قيل: لأنهم اجتهدوا فأخطأوا، فنقول: أي اجتهاد في هذا؟ وهل تركت نصوص العبادات مجالاً للاجتهاد؟ والأمر فيه واضح كل الوضوح، وما هو إلا غلبة الجاهلية وتحكّم الأهواء، حملت الناس على الإعراض عن هدي رسول الله ﷺ إلى دين اليهود والنصارى والوثنيين. . . وهل تكون محبة وتعظيم رسول الله ﷺ بالإعراض عن هديه وكرهه وكراهية ما جاء به من الحق لصلاح الناس من عند ربه، والمسارعة إلى الوثنية واليهودية والنصرانية؟ ومن هم أولئك الذين أحيوا تلك لأعياد الوثنية؟.

هل هم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد. . . أو غيرهم من أئمة الهدى ـ رضي الله عنهم ـ؟ حتى يعتذر لهم ولأخطائهم. كلا. بل ما أحدث هذه الأعياد الشركية إلا العبيديون الذين أجمعت الأمة على زندقتهم وأنهم كانوا أكفر من اليهود والنصارى، وأنهم كانوا وبالاً على المسلمين، وعلى أيديهم وبدسائسهم، وما نفثوا في الأمة من سموم الصوفية الخبيثة انحرف المسلمون عن الصراط المستقيم، وكلام شيخ الإسلام نفسه يدلُّ على خلاف ما يقول من إثابتهم. . . إلخ. فليُراجع.

يُراجع: تعليقه على اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (٢٩٤، ٢٩٥). وكذلك يُراجع: الرد القوي للشيخ حمود التويجري ص (١٤٩ ـ ١٥٣)، والقول الفصل ص (٣٨، ١٠١، ١٠٤)، ولعل ذلك سبق قلم من شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، لا سيما وأنه لا أحد يستطيع إنكار جهود الشيخ في قمع البدع والتحذير منها ومحاربتها باللسان والقلم والسيف، وأنه من المبرزين في هذا المجال، والله أعلم.

(١) يُراجع تعليق الشيخ حمود التويجري في الرد القوي ص (١٤٩).

(٢) يُراجع: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٢ ـ ٦١٦).

●● وقال الشاطبيُّ[١] في «الاعتصام» بعد أن عرَّف البدعة بأنها: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه: (وقوله في الحد: [تضاهي الشرعية]، يعني: أنها تشابه الطريقة الشرعية، من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة، منها: وضع الحدود كالناذر للصيام قائماً لا يقعد، ضاحياً لا يستظلّ، والاختصاص في الانقطاع للعبادة، والاقتصاد من المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علَّة.

ومنها: التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيداً، وما أشبه ذلك... إلخ)[٢] ا.هـ.

●● وقال ابن الحاج[٣] في «المدخل»: (فصل في المولد: ومن جملة ما أحدثوه من البدع، مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات، وأظهر الشعائر ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد، وقد احتوى على بدع ومحرمات جملة.

فمن ذلك: استعمالهم المغاني، ومعهم آلات الطرب من الطار المصرصر[٤] والشبابة[٥] وغير ذلك، مما جعلوه آلة السماع...، فانظر ـ رحمنا الله وإياك ـ إلى مخالفة السنة المطهَّرة ما أشنعها وأقبحها، وكيف تجر إلى المحرمات، ألا ترى أنهم لما خالفوا السنَّة المطهَّرة، وفعلوا المولد، لم يقتصروا على فعله، بل زادوا عليه ما تقدم ذكره من الأباطيل المتعددة، فالسعيد السعيد من شدَّ يده على امتثال الكتاب والسنَّة

---

(١) تقدمت ترجمته ص (٢١) من هذا الكتاب.

(٢) يُراجع: الاعتصام (١/ ٣٩).

(٣) هو: محمد بن محمد بن محمد بن الحاج، أبو عبد الله العبدري، المالكي، الفاسي، نزيل مصر، فاضل، تفقه في بلاده، وقدم مصر، وحج، وكف بصره في آخر عمره، وأقعد. وتوفي بالقاهرة سنة ٧٣٧هـ عن نحو ثمانين عاماً.
من كتبه: المدخل، قال فيه ابن حجر: كثير الفوائد كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها، وأكثرها مما ينكر، وله من الكتب أيضاً: شموس الأنوار وكنوز الأسرار.
تُراجع ترجمته في: الديباج المذهب ص (٣٢٧، ٣٢٨)، والدرر الكامنة (٤/ ٢٣٧) ترجمة رقم (٦٢٧)، وشجرة النور الزكية ص (٣١٨) ترجمة رقم (٧٦٩).

(٤) الطار المصرصر: أي المشدود. يُراجع: لسان العرب (٤/ ٤٥٠ ـ ٤٥٥).

(٥) الشبَّابة ـ بالتشديد ـ: قصبة الزمر المعروفة. (مولد). يُراجع: شفاء الغليل لما في كلام العرب من الدخيل ص (١٥٦).

والطريق الموصِّلة إلى ذلك، وهي اتباع السلف الماضين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ؛ لأنَّهم أعلم بالسنَّة منَّا، إذ هم أعرف بالمقال، وأفقه بالحال. . .) ا. هـ[١].

●● وقال الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي المشهور بالفاكهاني[٢] ـ بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهل له، والصلاة والسلام على نبينا محمد عبد الله ورسوله وآله وصحبه أجمعين: (أما بعد، فإنه تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد، هل له أصل في الشرع؟ أو هو بدعة وحدث في الدين؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مبيناً، والإيضاح عنه معيناً، فقلت وبالله التوفيق:

لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنَّة، ولا ينقل[٣] عمله عن أحدٍ من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون[٤]، وشهوة نفس اعتنى بها الأكَّالُون، بدليل أنَّا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا: إما أن يكون واجباً، أو مندوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً، وليس بواجب إجماعاً، ولا مندوباً؛ لأنَّ حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة ولا التابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت، وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت، ولا جائز أن يكون مباحاً؛ لأنَّ الابتدع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين، فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً أو

---

(١) يُراجع: المدخل (٢/ ٢ ـ ١٠).

(٢) هو: عمر بن علي بن سالم بن عبد الله اللخمي الإسكندراني، تاج الدين أبو حفص، المعروف بابن الفاكهاني، ولد سنة ٦٥٤هـ، وسمع الحديث واشتغل بالفقه على مذهب مالك، وبرع وتقدَّم بمعرفة النحو وغيره، وكان على حظ وافر من الدين المتين والصلاة، واتباع السلف الصالح، قدم دمشق سنة ٧٣١هـ، وسمع ابن كثير عليه ومعه، وحجّ تلك السنة من دمشق، ثم رجع إلى بلاده، وتوفي بالإسكندرية سنة ٧٣٤هـ.
من مؤلفاته: شرح العمدة في الحديث، والمنهج المبين في شرح الأربعين، والإشارة في العربية وشرحها، والفجر المنير في الصلاة على البشير النذير.
تُراجع ترجمته في: البداية والنهاية (١٤/ ١٤٦)، والديباج المذهب ص (١٨٦، ١٨٧)، والدرر الكامنة (٣/ ١٧٨) ترجمة رقم (٤١٨).

(٣) هكذا وردت في كتاب الحاوي (١/ ١٩٠). ولعل صحة العبارة ـ والله أعلم ـ: (ولم ينقل).

(٤) البطالون: جمع بطَّال، ورجل بطال: ذو باطل، وباطل بين البطول. والتبطل: فعل البطالة: وهو اتباع اللهو والجهالة. يُراجع: لسان العرب (١١/ ٥٦) مادة (بطل).

حراماً وحينئذٍ يكون الكلام فيه في فصلين والتفرقة بين حالين:

● **أحدهما**: أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله، لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يقترفون شيئاً من الآثام، وهذا الذي وصنفاه بأنه بدعة مكروهة وشناعة؛ إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة، الذي هم فقهاء الإسلام، وعلماء الأنام، سُرُج الأزمنة، وزين الأمكنة.

● **والثاني**: أن تدخله الجناية، وتقوى به العناية، حتى يعطي أحدهم الشيء ونفسه تتبعه، وقلبه يؤلمه ويوجعه، لما يجد من ألم الحيف، وقد قال العلماء: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف. لا سيما إذا انضاف إلى ذلك شيء من الغناء، مع البطون الملأى، بآلات الباطل من الدفوف والشبابات، واجتماع الرجال مع الشباب المرد، والنساء الفاتنات، إما مختلطات بهم أو مشرفات، والرقص بالتثني والانعطاف، والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف، وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهنَّ رافعات أصواتهم بالتهنيك[1] والتطريب في الإنشاد، والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد، غافلات عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[2].

وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنَّمَا يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب، وغير المستقلين من الآثام والذنوب، وأزيدك أنهم يرونه من العبادات، لا من الأمور المنكرات المحرمات، فإنَّا للَّه وإنا إليه راجعون. «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ...**»[3]. هذا مع أن الشهر الذي وُلِدَ فيه ﷺ - وهو ربيع الأول - هو بعينه الشهر الذي تُوفي فيه، فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه، وهذا ما علينا أن نقول ومن الله تعالى نرجو حُسن القبول) ا. هـ[4].

---

(١) هكذا وردت في الأصل، وربما في الكلمة تصحيف أو خطأ مطبعي، ولعل المراد: التنهيك من النهك: وهو المبالغة في الشيء. يُراجع: لسان العرب (١٠/ ٥٠٠، ٥٠١) مادة (نهك) - والله أعلم.

(٢) سورة الفجر، الآية: ١٤.

(٣) هذا حديث رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٩٨). ورواه مسلم في صحيحه (١/ ١٣٠) كتاب الإيمان، حديث رقم (١٤٥). رواه الترمذي في سننه (٤/ ١٢٩) أبواب الإيمان، حديث رقم (٢٧٦٤)، وقال: وهذا حديث حسن غريب صحيح. ورواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٢٠) كتاب الفتن، حديث رقم (٣٩٨٨).

(٤) يُراجع: الحاوي للسيوطي (١/ ١٩٠ - ١٩٢).

●● وقال محمد عبد السلام خضر الشقيري[١] في كتابه «السنن والمبتدعات»: (في شهر ربيع الأول وبدعة المولد فيه: لا يختص هذا الشهر بصلاة ولا ذكر ولا عبادة ولا نفقة ولا صدقة، ولا هو موسم من مواسم الإسلام كالجمع والأعياد التي رسمها لنا الشارع ـ صلوات الله وتسليماته عليه، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ـ، ففي هذا الشهر وُلِدَ ﷺ، وفيه تُوفي، فلماذا يفرحون بميلاده ولا يحزنون لوفاته؟!. فاتخاذ مولده موسماً، والاحتفال به بدعة منكرة، وضلالة لم يرد بها شرع ولا عقل، ولو كان في هذا خير فكيف يغفل عنه أبو بكر[٢] وعمر[٣] وعثمان[٤] وعلي[٥] ـ رضوان الله عليهم ـ، وسائر الصحابة والتابعين وتابعيهم، والأئمة وأتباعهم؟ لا شك أن ما أحدثه المتصوفون الأكّالون البطّالُون أصحاب البدع، وتبع الناس بعضهم بعضاً فيه إلا من عصمه الله، ووفقه لفهم حقائق الإسلام، ثم أي فائدة تعود، وأي ثواب في هذه الأمور الباهظة، التي تعلق بها هذه التعاليق، وتنصب بها هذه السرادقات، وتضرب بها الصواريخ؟ وأي رضا لله في اجتماع الرقاصين والرقاصات والطبالين والزمّارين، واللصوص والنشالين، والحاوي والقرادتي[٦]، وأي خير في اجتماع ذوي العمائم الحمراء والخضراء والصفراء والسوداء، أهل الإلحاد في أسماء الله، والشخير والنخير والصفير بالغابة، والدقّ بالبازات والكاسات، والشهيق والنعيق [بأح أح يا ابن المرة، أم أم، أن أن، سابينها يا رسول الله، يا صاحب الفرح المدا آد يا عم يا عم اللّع اللّع][٧] كالقرود، ما فائدة هذا كله؟! فائدته سخرية الإفرنج بنا وبديننا،

---

(١) لم أجد ـ حسب اطلاعي المحدود ـ له ترجمة، غير أنه ذكر في آخر كتابه السنن والمبتدعات أنه فرغ من تأليفه سنة ١٣٥٢هـ.

(٢) تقدمت ترجمته ـ رضي الله عنه ـ ص (٢٧) من هذا الكتاب.

(٣) تقدمت ترجمته ـ رضي الله عنه ـ ص (٢٠) من هذا الكتاب.

(٤) تقدمت ترجمته ـ رضي الله عنه ـ ص (٦٨) من هذا الكتاب.

(٥) تقدمت ترجمته ـ رضي الله عنه ـ ص (٦٩) من هذا الكتاب.

(٦) لأن اجتماع هؤلاء يعتبر من مراسم الاحتفال بالموالد عموماً، فعلى ماذا يدلّ اجتماع هؤلاء العصاة وربما الكفرة؟؟. يُراجع: تاريخ الجبرتي (١/ ٣٠٤) ترجمة عبد الوهاب العفيفي المتوفى سنة ١١٧٢هـ. ذكر فيها ما يفعلونه في مولده، وهو مشابه لما ذكره الشقيري في كتابه مما يدل على أن ذلك أمر متفق عليه عند المحتفلين بالموالد منذ دهر طويل.

(٧) لعل هذه العبارات الغريبة مما يردده هؤلاء الصوفية في موالدهم، وبعض مفرداتها واضح المعنى، وبعضها غريب.

وأخذ صور هذه الجماعات لأهل أوروبا، فيفهمون أن محمداً ﷺ ـ حاشاه حاشاه ـ كان كذلك هو وأصحابه، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليهِ راجعون.

ثم هو خراب ودمار، فوق ما فيه الناس من فقر وجوع وجهل وأمراض، فلماذا لا ننفق هذه الأموال الطائلة في تأسيس مصانع يعمل فيها الألوف من العاطلين؟ أو لماذا لا ننفق هذه النفقات الباهظة في إيجاد آلات حربية نقاوم بها أعداء الإسلام والأوطان؟ وكيف سكت العلماء على هذا البلاء والشر، بل وأقروه؟ ولماذا سكتت الحكومة الإسلامية على هذه المخازي وهذه النفقات التي ترفع البلاد إلى أعلى عليين؟ فإمَّا أن يزيلوا هذا المنكر وإمَّا وصمتهم بالجهالة) ا. هـ(١).

●● وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ(٢) في جواب على سؤال عن حكم الاحتفال بمولد النبي ﷺ، وهل فعله أحد من أصحابه أو التابعين وغيرهم من السلف الصالح:

(لا شك أن الاحتفال بمولد النبي ﷺ من البدع المحدثة في الدين، بعد أن انتشر الجهل في العالم الإسلامي، وصار للتضليل والإضلال، والوهم والإيهام مجال عميت فيه البصائر، وقوي فيه سلطان التقليد الأعمى، وأصبح الناس في الغالب لا يرجعون إلى ما قام الدليل على مشروعيته، وإنَّما يرجعون إلى ما قاله فلان وارتضاه علان، فلم يكن لهذه البدعة المنكرة أثر يذكر لدى أصحاب رسول الله ﷺ، ولا لدى التابعين وتابعيهم، وقد قال ﷺ: «**عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(٣). وقال ـ عليه السلام ـ أيضاً ـ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**»(٤). وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**»(٥).

وإذا كان مقصدهم من الاحتفال بالمولد النبوي تعظيم رسول الله ﷺ، وإحياء

---

(١) يُراجع: السنن والمبتدعات ص (١٤٣).
(٢) تقدمت ترجمته ص (١٤٩) من هذا الكتاب.
(٣) تقدم تخريجه ص (٢٤) من هذا الكتاب.
(٤) تقدم تخريجه ص (١٩٦) من هذا الكتاب.
(٥) تقدم تخريجه ص (١٩٦) من هذا الكتاب.

ذكره، فلا شك أن تعزيره[١] وتوقيره يحصل بغير هذه الموالد المنكرة، وما يصاحبها من مفاسد وفواحش ومنكرات، قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٢]. فذكْره مرفوع في الأذان والإقامة، والخطب والصلوات، وفي التشهد والصلاة عليه في الدعاء وعند ذكره، فلقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**البخيل من ذُكِرت عنده فلم يصل عليَّ**»[٣].

وتعظيمه يحصل بطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألاَّ يُعبد الله إلا بما شرع.

فهو أجل من أن تكون ذكراه سنوية فقط، ولو كان هذه الاحتفالات خيراً محضاً، أو راجحاً لكان السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ أحقّ بها منَّا، فإنهم كانوا أشدّ منا محبة وتعظيماً لرسول الله ﷺ، وهم على الخير أحرص، ولكن قد لا يتجاوز أمر أصحاب هذه الموالد ما ذكره بعض أهل العلم: من أن الناس إذا اعترتهم عوامل الضعف والتخاذل والوهن، راحوا يعظمون أئمتهم بالاحتفالات الدورية، دون ترسم مسالكهم المستقيمة؛ لأنَّ تعظيمهم هذا لا مشقة على فيه النفس الضعيفة، ولا شك أنَّ التعظيم الحقيقي هو طاعة المعظم، والنصح له، والقيام بالأعمال التي يقوم بها أمره، ويعتز بها دينه، إن كان رسولاً، وملكه إن كان ملكاً.

وقد كان السلف الصالح أشدّ ممن بعدهم تعظيماً للنبي ﷺ، ثم للخلفاء الراشدين من بعده، وناهيك ببذل أموالهم وأنفسهم في هذا السبيل، إلا أن تعظيمهم رسول الله ﷺ وخلفاءه الراشدين، لم يكن كتعظيم أهل هذه القرون المتأخرة، ممن ضاعت منهم طريقة السلف الصالح في الاهتداء والاقتداء، وسلكوا طريق الغواية والضلال في مظاهر التعظيم الأجوف، ولا ريب أن الرسول ﷺ أحقّ الخلق بكل تعظيم يناسبهم، إلاَّ أنه ليس من تعظيمه أن نبتدع في دينه بزيادة أو نقص، أو تبديل أو تغيير لأجل تعظيمه به، كما أنه ليس من تعظيمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن نصرف له شيئاً مما لا

---

(١) كلمة التعزير مأخوذة من قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [سورة الفتح، الآية: ٩]. وقوله تعالى: ﴿... فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٥٧].

(٢) سورة الشرح، الآية: ٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٠١). ورواه الترمذي في سننه (٥/ ٢١١) أبواب الدعوات، حديث رقم (٣٦١٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

يصلح لغير الله من أنواع التعظيم والعبادة. . . .

والخلاصة: أنَّ الاحتفال بالمولد من البدع المنكرة، وقد كتبنا فيها رسالة مستقلَّة فيها مزيد تفصيل. . . والله ولي التوفيق)ا. هـ(١).

فمن خلال هذه الشواهد من آثار السلف الصالح، ومن على نهجهم، يتبين لنا أنهم اتفقوا على أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة محدثة، لم تؤثر عن الرسول ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ، ولا عن التابعين وتابعيهم ومن تبعهم من الأئمة الأعلام من سلفنا الصالح ـ رحمة الله عليهم ـ.

والبدعة مهما عمل الناس بها، ومهما مرَّت عليها الأزمنة والعصور، ومهما عمل بها أو رضي بها من يدَّعي العلم، لا يمكن أن تكون في يوم من الأيام سنَّة يؤجر على فعلها.

والذين يحتفلون بهذه الموالد قد آثروا أقوال علماء الغواية والجهالة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن استشهدوا بهما فهم يؤوِّلون معانيهما على ما يوافق شهواتهم وهوى أنفسهم، ويدلُّ على ذلك تعصبهم لأقوال مشايخهم الذي ضلُّوا وأضلُّوا، ولو كانوا يبحثون عن الحق، لسألوا أهل العلم واستفسروا منهم، وفحصوا الأدلة والبراهين، وإذا اتضح لهم الطريق المستقيم اتبعوه، ولكن المكابرة سلاح الجاهل يطعن به نفسه.

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن

---

(١) يُراجع: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (٣/ ٥٤ ـ ٥٦). وللشيخ ـ رحمه الله ـ رسائل كثيرة في إنكار بدعة المولد، بعضها مطول، وبعضها مختصر، فلتراجع في الجزء الثالث من الفتاوى.

وممن كتب أيضاً في إنكار بدعة المولد الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ـ رحمه الله ـ وذلك في رسالة لطيفة، وكذلك الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله ـ وذلك من خلال الصحف والمجلات، وله رسائل مطبوعة في هذا الموضوع . . . إلى غير هؤلاء من العلماء الذين لا يتسع المجال لذكر كتاباتهم التي جاءت على شكل ردود على القائلين بشرعية الاحتفال بالمولد النبوي.

يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(١).

والقائل سبحانه وتعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً * فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(٢).

والقائل ـ أيضاً ـ في محكم كتابه: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾(٣).

وهل قام الذين يحتفلون بالموالد بكل تعاليم الإسلام كبيرها وصغيرها من الأركان والفروض والواجبات والسنن، حتىٰ يبحثوا عن بدعة حسنة ـ كما يزعمون ـ رغبة في زيادة الأجر والثواب من الله ؟! الله أكبر!!!.

نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق إلىٰ صراطه المستقيم، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله أعلم.

* * *

(١) سورة النور، الآيات: ٤٧ ـ ٥٢.

(٢) سورة النساء، الآيات: ٦٠ ـ ٦٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٥.